

جمهورية مصر العربية
وزارة التربية والتعليم
والتعليم الفنى
قطاع الكتب



معجزة القرآن



الصف الأول الثانوى

طبعة ٢٠١٧ - ٢٠١٨ م



جمهورية مصر العربية
وزارة التربية والتعليم والتعليم الفنى
قطاع الكتب

معجزة القرآن

فضيلة الشيخ / محمد متولى الشعراوى

للصف الأول الثانوى

طبعة ٢٠١٧ / ٢٠١٨ م
١٤٣٨ - ١٤٣٩ هـ

مقدمــة

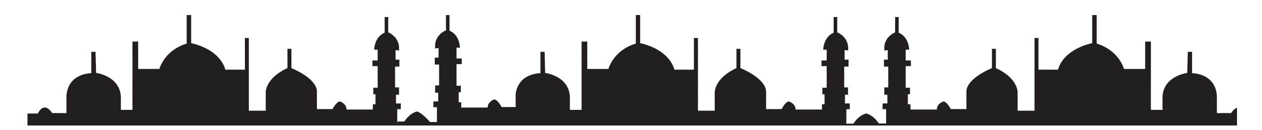
معجزة القرآن الكريم هى معجزة خالدة باقية إلى يوم القيامة.. والقرآن خاتم الكتب السماوية.. ليس له عصر معين فى إعجازه ولا زمن محدد فى تحديه للبشرية كلها.. وهو لم يأت ككتاب علم.. هذه حقيقة يجب أن نضعها فى أذهاننا.. ولكنه فى الوقت نفسه جاء كمعجزة خالدة باقية.. ومن هنا فإن فيه إعجازًا لكل العصور.. إعجازًا لمن عاشوا قبلنا وإعجازًا لعصرنا هذا وإعجازًا لمن سيأتون بعدنا.. حتى تنتهى الدنيا وما فيها.

والقرآن جاء لينذر من كان حيًّا.. ومن هنا فإنه موجه إلى الأحياء.. وتحديه هو بالنسبة لمن يقيمون على هذه الأرض.. وليس لمن انتقلوا منها إلى العالم الآخر.. فأولئك يرون عين اليقين.. ويعرفون الحق بعد مغادرتهم الدنيا..

وتناول فضيلة الشيخ الشعراوى بعد ذلك.. لماذا نزل القرآن ككتاب جامع للبشرية كلها؟ ولماذا كانت الكتب السماوية تنزل إلى أمة أو شعب لتعالج داءً بينما القرآن عالج جميع مشاكل البشرية كلها؟ ثم روى بالتفصيل كيف أن القرآن مزق حجب الغيب الثلاثة.. حجاب الزمن الماضى.. وحجاب الحاضر.. وحجاب المستقبل.. بل إنه دخل إلى أعماق النفس البشرية.. ليظهر ما يخبئه الإنسان.. ولا يبوح به.. ولا يعلمه إلا الله.

مزق القرآن بعد ذلك حجب المستقبل القريب والبعيد، فأنبأ عن أشياء لم يكن العقل يعتقد أنها ستحدث.. أو أنها يمكن أن تحدث.. وتنبأ بنتائج حروب ومصائر شعوب.. وقال لنا: إن الأرض كروية.. وكشف لنا علم الأجنة قبل أن يعرفه العالم.. وتحدى البشرية فى أن تخلق ذبابة واحدة.. وكشف عما هو أصغر من الذرة.. ونلاحظ أن كلمة أصغر معناها منتهى الدقة فى صغر الحجم.. لأن هناك صغيرًا وأصغر.. وقال: ﴿وما تحت الثرى﴾ مشيرًا إلى أن هناك ثروات هائلة فى باطن الأرض.. ثم أنبأنا عن معجزة الخلق.. وكيف تتم.. وأبان لنا أشياء وصلنا إليها بالعلم الأرضى.. وأشياء لم نصل إليها حتى الآن..

كل ذلك أوضحه فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى فى أسلوب سهل جميل.. وبطريقة مفهومة لكل إنسان..



والحقيقة أن هذا الكتاب يعتبر تفسيرًا علميًا هامًّا وعميقًا لبعض معجزات القرآن.. وهو تفسير لم يتناوله أحد من الأئمة حتى الآن بهذه الصورة.. ولم يقدمه بهذا الأسلوب السهل الممتع.. وهو يضيف إلى المكتبة القرآنية.. مكتبة التفسير إضافات هامة يعتز بها كل مسلم.

الفصل الأول

معجزة القرآن

مقدمة:

هل يستطيع محمد ﷺ أن يتنبأ بنتيجة معركة حربية ستحدث بعد سبع أو ثمانى سنين؟ ويحدد من الذى سينتصر؟ ومن الذى سيهزم؟ وما الذى يجعله يدخل فى قضية غيب كهذه؟ كيف يخبر الكفار بما تخفيه صدورهم ولم تهمس به شفاههم.. ويقول لأعداء الإسلام ما سيقع لهم؟ ويتحدى فى قضايا الغيب.. وماذا كان يمكن أن يحدث لقضية الإيمان كله.. لو لم يصدق القرآن فى كل حرف قاله؟ ولكنه صدق فى كل ما قاله.. لماذا؟

لأن القائل هو الله والفاعل هو الله.

القرآن الكريم:

القرآن هو كلام الله المنزّل على رسوله سيدنا محمد ﷺ .. والمتعبّد بتلاوته.. والمتحدَّى به.. والقرآن يحمل أكثر من معجزة.. تحدى الله به العرب أولًا.. ثم تحدى به الإنس والجن.. لم يتحد به الله الملائكة.. لأن الملائكة ليس لهم اختيارات ليعملوا بها.. أى أنهم يفعلون ما يؤمرون به من الله فقط.. قال - تعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[1].

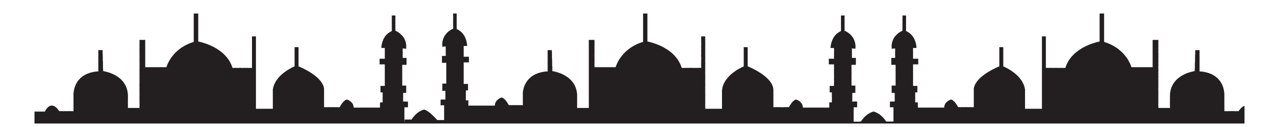
من هنا فإن القرآن يتحدى كل القوى المختارة أو التى لها اختيار.. التى ميزها الله. بقدرة العقل والفكر والاختيار..

وقبل أن نتحدث عن معجزة القرآن.. يجب أن نحدد معنى كلمة معجزة..

حين يأتى إنسان ويقول إنه رسول من عند الله جاء ليبلِّغ بمنهجه.. أفنصدقه؟ أم أننا نطالبه بإثبات ما يقول؟

---

(١) التحريم: الآية رقم ٦.



إذا كان لابد أن تجيء مع كل رسول معجزة تثبت صدقه فى رسالته وفى بلاغه عن الله[١] وأن تكون المعجزة مما لا يستطيع أحد أن يأتى به، وأن تكون أيضًا مما نبغ[٢] فيه قومه.. لماذا؟ حتى لا يقال إن الرسول قد تحدى قومه بأمر لا يعرفونه ولا موهبة لهم فيه.. فالتحدى يجب أن يكون فى أمر نبغ فيه القوم حتى يكون للتحدى قيمة.. ولذلك نلاحظ فى معجزة كل رسول أنها جاءت فيما نبغ فيه قومه.. وأنها جاءت لتهدم من يتخذونه إلهًا من دون الله..

وسوف نتناول بعض هذه المعجزات.

١- معجزة إبراهيم - عليه السلام:

فمثلا معجزة إبراهيم – عليه السلام – جاءت فى قوم يعبدون الأصنام ويسجدون لها ويقدسونها.. ولذلك عندما أرادوا إحراق إبراهيم جاءوا به أمام آلهتهم ليلقوه فى النار.. وكان المفروض أن هذه الآلهة تنتقم لنفسها ممن حطمها إذا كانت تستطيع لنفسها نفعًا أو ضرًّا.. ولكنهم حين ألقوا بإبراهيم – الذى سفَّه[٣] معتقداتهم – فى النار لم تحرقه النار.. وخذلتهم[٤] آلهتهم.

على أن اختيار النار يمكن أن يكون له معنى آخر.. فكم من الناس عبدوا النار فى الماضى.. حتى خلال هذه الفترة نجد أن بعض الناس لا يزالون يتخذون النار إلهًا مقدسًا.

ولكن معجزة إبراهيم ليست أن ينجو من النار.. فلو أراد الله أن ينجيه من النار ما مكنهم من إلقاء القبض عليه، أو لنزلت الأمطار لتطفئ النار.. ولكن الله شاء أن تظل النار نارًا متأججة[٥] محرقة مدمرة.. وأن يؤخذ إبراهيم عيانًا أمام كل الناس ويُرمى فى النار.. وهنا يعطل ناموس[٦] أو قانون إحراقها ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾[٧].

لو أن إبراهيم نجا بأن هرب مثلًا.. لقالوا لو أمسكناه لأحرقناه.. ولو نزلت الأمطار لقالوا لو لم تنزل الأمطار لأحرقناه.. ولكن إبراهيم لم يهرب.. والأمطارلم تنزل.. والنار متأججة.. ولكنها لم تحرق إبراهيم.. فكأن آلهتهم التى كانوا يزعمون أنهم ينتقمون لها ليست آلهة كما يزعمون.. إنما

(١) المعجزة: هى الأمر الخارق للعادة ويظهره الله تعالى على يد من اختاره ليبلغ رسالته، وأن تكون المعجزة مما لا يستطيع أحد أن يأتى به.

(٢) نبغ: برع وتفوق.

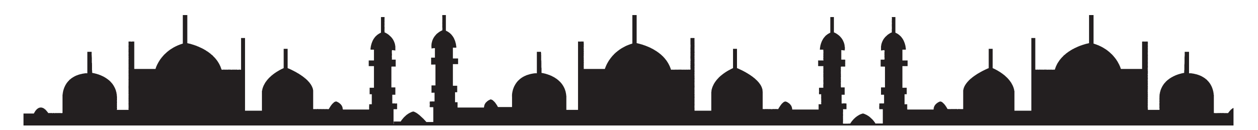
(٣) سفّه: عاب.

(٤) خذلتهم: لم تستطع لهم نصرًا.

(٥) متأججة: مشتعلة.

(٦) ناموس: قانون.

(٧) الأنبياء: ٦٩.



هى أصنام لا تضر ولا تنفع.. وكل شىء فى هذا الكون خاضع لمشيئة الله.. وإرادة الله.. عندما يقول: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا﴾.. تتعطل خاصية الإحراق. وتقف قوانين الكون عاجزة أمام قدرة الله.. وتقف آلهتهم عاجزة عن أن يقول: يا نار أحرقى من حطمنا.

٢ - معجزة موسى - عليه السلام -:

أيد الله – سبحانه وتعالى – نبيه موسى – عليه السلام – بأكثر من معجزة، أيده بالعصا التى تتحول إلى ثعبان كبير، وبيده يدخلها فى جيبه ثم يخرجها، فإذا هى بيضاء منيرة مشرقة.

﴿فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾[1].

لماذا أيد الله – سبحانه وتعالى – موسى – عليه السلام – بهاتين المعجزتين؟

لأنه أرسله إلى قوم نبغوا فى السحر ويتقنونه جيدًا، وهنا كان التحدى، فقد جمع فرعون السحرة ليثبت كذب موسى، ولكنه عجز ومعه أمهر السحرة فى مملكته أمام المعجزة الإلهية، وأيقن السحرة بأن موسى ليس ساحرًا، وأن ما فعله ليس بسحر وإنما هو معجزة إلهية.

﴿فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾[2].

ثم تأتى معجزة انفلاق البحر لموسى وقومه:

المعلوم أن قانون الماء هو: الاستطراق، فلا يكون عاليًا فى مكان ومنخفضًا فى مكان آخر، لابد أن يتساوى سطحه، ولذا فإننا عندما نقيس الارتفاعات ننسبها إلى سطح البحر فنقول هذا المكان يرتفع عن سطح البحر بكذا، هذا هو قانون الكون الذى لا يعرف البشر سواه، ولكن ما حدث للبحر عندما ضربه موسى بعصاه هو خرق لقوانين الكون، فقد انشق البحر وانفلق إلى فرقين كل فرق كالطود أى الجبل العظيم الذى يقف عاليًا حتى مر موسى وقومه، ثم عاد كما كان، لماذا حدث هذا؟ لماذا انفلق البحر إلى جزأين وتعطلت قوانين الماء؟

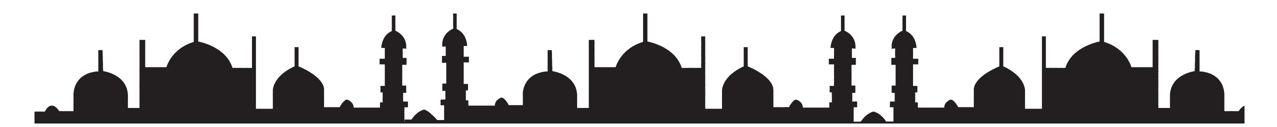
لأن موسى – عليه السلام – رد الأمر إلى الله – سبحانه وتعالى – .. كيف؟

حينما تبع فرعون وجنده قوم موسى عند هروبهم من مصر خوفًا من بطش فرعون، ووصل موسى وقومه إلى شاطئ البحر، وأحسوا أن جيوش فرعون وراءهم تلاحقهم، قال قوم موسى: ﴿إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ﴾[3] أى إننا هالكون لا محالة.

(١) الشعراء: (٣٢، ٣٣).

(٢) الشعراء: (٤٦، ٤٨).

(٣) الشعراء: (٦١).



هذا كلام واقعى.. لأن البحر أمامهم وفرعون وجنده وراءهم، والمسألة فى قوانين البشر واضحة لا تحتاج إلى بيان.

ولكن موسى – عليه السلام – يرد عليهم بكل ثقة: كلا. قالها بملء فيه، قالها وهو واثق تمامًا، لماذا؟ لأنه لم يزعم أنه سينجو بأسباب البشر، لم يقل سأنجو لأننا سنصعد جبل كذا، أو سنعبر البحر بطريقة كذا، وإنما قال: ﴿ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾[1].

لقد نقل موسى – عليه السلام – المسألة من قانون الإنسان إلى قدرة الله – سبحانه وتعالى – وهنا أوحى الله – سبحانه وتعالى – لموسى: ﴿أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾[2].

٣ - معجزة عيسى - عليه السلام -:

كانت ولادة عيسى – عليه السلام – معجزة، وكلام عيسى – عليه السلام – وهو طفل صغير بعد ولادته مباشرة ليبرِّئ أمه معجزة.[3] ولكننا سنتناول المعجزة التى أيده بها الله – سبحانه وتعالى – عندما كلَّفه بالرسالة.

عيسى – عليه السلام – جاء والقوم يعلمون الطب.. فجاء لهم بمعجزة من جنس ما نبغوا فيه.. فأبرأ الأكمه والأبرص[4].

وتسامى إلى ما هو أكبر وأعظم من ذلك إلى شيء لم يصلوا إليه.. فأحيا الموتى بإذن الله وقد أمره ربه أن يقول لقومه ما ورد فى سورة آل عمران:

﴿أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[5].

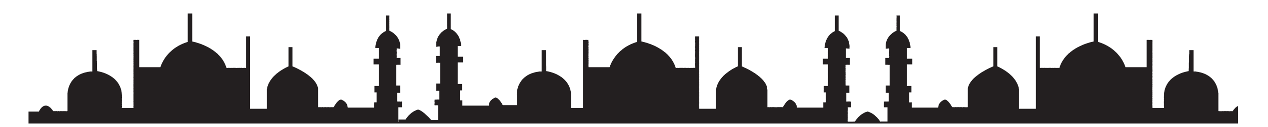
(١) الشعراء: (٦٢)

(٢) الشعراء: ٦٣

(٣) قصة ولادة عيسى – عليه السلام – وكلامه فى المهد جاءت فى الآيات (١٦ : ٣١) من سورة مريم.

(٤) الأكمه: الأعمى، والأبرص: البرص مرض جلدى كان الشفاء منه مستعصيًا.

(٥) سورة آل عمران (٤٩).



معجزة القرآن وكيف تختلف:

١ - على أنه يلاحظ أن معجزة القرآن تختلف عن معجزات الرسل السابقين.. معجزات الرسل خرقت النواميس.. وتحدت وأثبتت أن الذى جاءت على يديه رسول صادق من الله.. ولكنها معجزات كونية.. من رآها فقد آمن بها.. ومن لم يرها صارت عنده خبرًا.. إن شاء صدَّقه.. وإن شاء لم يصدقه.. ولو لم ترد فى القرآن لكان من الممكن أن يقال إنها لم تحدث.. إذن فالمعجزة الكونية المحسَّة.. أى التى يحس بها الإنسان ويراها.. تقع مرة واحدة.. من رآها فقد آمن بها.. ومن لم يرها تصبح خبرًا بعد ذلك.. ولكن معجزة النبى ﷺ معجزة عقلية باقية خالدة.. يستطيع كل واحد أن يقول: محمد رسول الله.. وهذه معجزته وهى القرآن.

٢- شىء آخر.. إذا نظرنا إلى المعجزات السابقة.. وجدنا هذه المعجزات فعلًا من أفعال الله.. وفعل الله من الممكن أن ينتهى بعد أن يفعله الله؛ البحر انشق لموسى ثم عاد إلى طبيعته.. النار لم تحرق إبراهيم ولكنها عادت إلى خاصيتها بعد ذلك، ولكن معجزة النبى ﷺ صفة من صفات الله.. وهى كلامه.. والصفة باقية ببقاء الموصوف..

اختلاف معجزة القرآن عن معجزات الرسل:

٣ - ويلاحظ أيضًا فى معجزة القرآن.. أنها اختلفت عن معجزات الرسل اختلافًا آخر.. كل رسول كانت له معجزة.. وله كتاب منهج.. معجزة موسى العصا ومنهجه التوراة.. ومعجزة عيسى الطب ومنهجه الإنجيل.. ولكن رسول الله ﷺ معجزته هى عين منهجه.. ليظل المنهج محروسًا بالمعجزة.. وتظل المعجزة فى المنهج.. ومن هنا فقد كانت الكتب السابقة للقرآن داخلة فى نطاق التكليف.. بمعنى أن الله - سبحانه وتعالى - كان يكلف عباده بالمحافظة على الكتاب.. أما القرآن فقد قال الله - سبحانه وتعالى - عنه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[1] لماذا؟

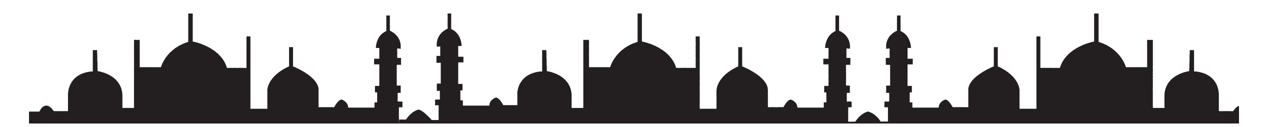
أولًا: لأن القرآن معجزة.. وكونه معجزة لابد أن يبقى بهذا النص وإلا ضاع الإعجاز..

ثانيًا: لأن الله اختبر عباده فى الحفاظ على الكتب السابقة.. فنسوا حظًّا مما ذكروا به.. والذين لم ينسوه كتموا بعضه.. والذين لم يكتموه يلوون ألسنتهم به ويحرِّفونه عن موضعه، وهكذا نرى أنه كان هناك أكثر من نوع: المسخ[2] والنسيان والتحريف.. ثم جاءوا بأشياء من عندهم وقالوا إنها من عند الله ليشتروا بها ثمنًا قليلًا..

---

(١) الحجر: الآية (٩).

(٢) المسخ: هو تغيير الشىء إلى ما هو أقبح.



التطبيق والحفظ:

ومن هنا فإن الله – سبحانه وتعالى – قرر أن يحافظ على القرآن.. ولو أخذنا خطين.. خط تطبيق القرآن والعمل بتعاليمه.. وخط المحافظة على القرآن.. نرى أن خط تطبيق القرآن كلما مر الزمن ضعف.. وخط المحافظة على القرآن كلما مر الزمن ازداد.. لو كنا نطبق المنهج تطبيقًا سليمًا لكان هذا أمرًا طبيعيًّا.. ولكن غفلتنا عن تعاليم القرآن كسلوك فى الحياة لا تتمشى مع ازدياد الحفاظ على القرآن.. نجد القرآن فى كل مكان.. فى كل منزل ومكتب وسيارة.. حتى غير المسلم يحافظ على القرآن ويحمله .. فنجد شخصًا ألمانيًّا مثلًا يفكر في أن يكتب القرآن فى صفحة واحدة.. بشكل جميل.. فلماذا يفعل ذلك مع القرآن.. قبل أن يفعله مع الكتب السماوية الأخرى؟ وما الذى يجعل دولة كاليابان وإيطاليا تتفننان فى طباعة المصحف بشكل جميل أنيق؟! إن ذلك يحدث لأن الله – سبحانه وتعالى – يريد أن يدلل لنا على أنه يحفظ القرآن.. وكلما ابتعدنا عن المنهج.. ازددنا فى حفظ القرآن والعناية به.. ليدلل على أن الذى يحفظه هو الله.. وليس القائمون على المنهج.

معجزة القرآن للعالم كله
والكفار يناقضون أنفسهم

القرآن يتحدى العرب:

فإذا حددنا هذه العناصر الثلاثة التى تمتاز بها معجزة القرآن[١].. ننتقل بعد ذلك إلى نقطة أخرى.. القرآن كلام الله المتعبد بتلاوته.. جاء من جنس ما نبغ فيه العرب.. القوم الذين نزل فيهم.. قوم محمد ﷺ.. عُرفوا بالبلاغة والفصاحة وحسن الأداء وجمال المنطق، وسلاسة التعبير.. فيتحداهم القرآن فى هذا.. فلما سمعوه انبهروا[٢].. ولكن العناد أوقفهم.. قالوا ساحر.. والرد هنا بسيط جدًّا.. هل يملك المسحور اختيارًا مع الساحر؟ إذا كان محمد ساحرًا.. فقد سحر الناس.. فلماذا لم يسحركم أنتم حتى تتبعوه؟

إنما المسحور لا يخضع للساحر بإرادته.. ولا يأتى ليقول له سأصدق هذا السحر وأكذب بهذا السحر.. إنما المسحور مسلوب الإرادة أمام الساحر.. فكونكم تقولون إنه ساحر وأنتم لا تؤمنون به دليل على أنكم كاذبون..

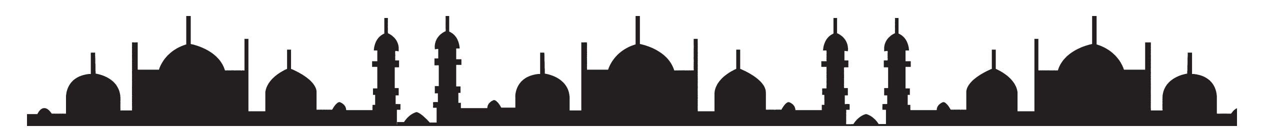
ثم قالوا: شاعر.. محمد لم يقل الشعر فى حياته. وأنتم تعرفون.. فلماذا فجأة تتهمونه بالشعر؟ ثم قالوا: مجنون.. هل المجنون يكون على خلق؟ إنك لا تعرف إذا كان المجنون سيشتمك.. أو يقذفك بحجر، لا تعرف ماذا سيفعل معك فى الدقيقة التالية، فهل المجنون يكون على خلق عظيم كالنبى ﷺ الذى يعرفون خلقه جيدًا.. والذى كانوا يلقبونه قبل الرسالة بالأمين ويستأمنونه على ودائعهم حتى بعد أن بعث؟

الذى حدث أنهم انبهروا.. ذُهلوا.. هم ملوك البلاغة والفصاحة وأساطينها[٣].. فجاءهم كلام أعجزهم.. وجدوا أنفسهم عاجزين.. فتخبطوا.. قالوا ساحر.. قالوا مجنون.. وقالوا أشياء لا تخضع لأى منطق.. لأنهم من قوة المفاجأة فقدوا الحُجة والمنطق.. والقرآن يواصل التحدى أن

(١) القرآن معجزة عقلية، وهو كلام الله وصفته باقية ببقائه، ومعجزة القرآن هى نفس المنهج ليظل المنهج محروسًا بالمعجزة وتظل المعجزة فى المنهج.

(٢) انبهروا: غلبوا على أمرهم ببلاغته.. من بهره غلبه وفضله.

(٣) أساطينها: أربابها العالمون بها والنابغون فيها.



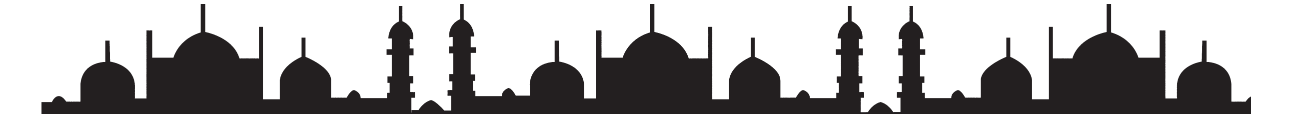
يأتوا بمثله.. ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[1]، ثم يمعن فى التحدى ليقول بعشر سور ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[2] ثم يمعن فى التحدى ليقول سورة من مثله: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[3] كان هذا هو أول إعجاز للقرآن.. معجزة تحدت القوم الذين نزل فيهم بما نبغوا فيه.

ولكن التحدى فى القرآن ومعجزاته ليست للعرب وحدهم.. بل هى للعالم أجمع.. ومن هنا فقد كان إعجاز القرآن اللغوى.. هو تحديه للعرب فيما نبغوا فيه.. ولكن التحدى لم يأت للعرب وحدهم.. والقرآن جاء لكل الأجناس. وكل الألسنة.. فأين التحدى لغير العرب؟ ثم هذا الكتاب سيبقى إلى أن تقوم الساعة.. فلابد أنه يحمل معجزة للعالم فى كل زمان ومكان.. ومن هنا كانت هناك معجزات للقرآن.. وقت نزوله وفى خلال فترة نزوله.. وبعد نزوله.. وهى مستمرة.. حتى يومنا هذا.. ستستمر إلى قيام الساعة لتظهر لنا آيات الله فى الأرض..

(١) سورة الإسراء: (٨٨).

(٢) سورة هود: (١٣).

(٣) سورة البقرة: (٢٣).



معجزة القرآن تتحدى العالم

القرآن مزق حواجز الغيب:

حينما جاء القرآن تحدى فى أشياء كثيرة.. أولها أنه مزق حواجز الغيب.. مزق حواجز الزمان والمكان. كيف ذلك؟ حواجز الغيب ثلاثة.. أولها حاجز المكان.. أى أن أشياء تحدث فى نفس اللحظة.. ولكن لا أعرف عنها شيئًا.. لأنها تحدث فى مكان.. وأنا موجود فى مكان آخر.. ثم هناك حاجز الزمن الماضى.. وهو شىء حجبه عنى زمن مضى.. فأنا لم أشهده.. وحاجز المستقبل، وهو ما سيحدث غدًا؛ لأن حاجز الزمن المستقبل قد حُجب عنى فلم أشهده.. إذن فحواجز الغيب ثلاثة.. حاجز المكان.. وحاجز الزمن الماضى.. وحاجز الزمن المستقبل.

إذا قرأنا القرآن وجدنا أنه يمزق حاجز الزمن الماضى.. فيخبرنا بما حدث للأمم السابقة.. ويروى لنا قصص الرسل السابقين.. ويحكى لنا أشياء لم يكن أحد يعرفها.. وعلى لسان مَنْ؟ على لسان نبى أمىٍّ.. لا يقرأ ولا يكتب، يحكى إذن أسرار الماضى، ويتحدى الذين يكذبون.. لقد مزق الله – سبحانه وتعالى – له حجاب وحاجز الزمن الماضى.. ويكفى أن تقرأ فى القرآن.. وما كنت وما كنت وما كنت.. لتعرف كم أخبر الله – سبحانه وتعالى – رسوله محمدًا ﷺ بأنباء من غيب الماضى، سنتناول بعضًا منها:

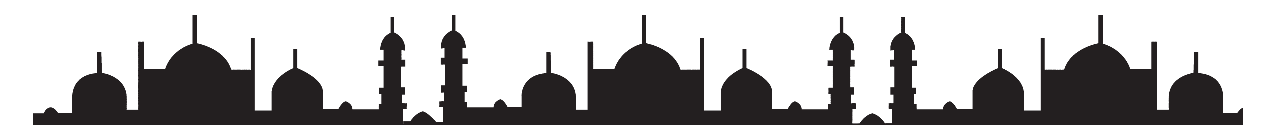
١ - يقول الله - سبحانه وتعالى - فى سورة (آل عمران):

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾[1] أى أنك لم تكن هناك يا محمد فى بيت المقدس عندما اقترع كهان بيت المقدس أيهم يكفل ويرعى الطفلة المباركة مريم ابنة عمران، وكان والدها إمامهم وصاحب قربانهم وكلهم يتمنى كفالتها ورعايتها، وكان نبى الله زكريا – عليه السلام – حاضرًا معهم، وزوجته خالة تلك المولودة التى نذرتها أمها وهى فى بطنها أن تكون خالصة لخدمة بيت المقدس، ولما اقترعوا على مَن يكون كفيلها ومربيها كانت القرعة من نصيب نبى الله زكريا – عليه السلام –[2] ولكن الله هو الذى أخبرك ومزَّق لك حجاب الزمن الماضى.

---

(١) سورة آل عمران: (٤٤).

(٢) قصة ولادة مريم فى سورة (آل عمران) الآيات: (٣٥ : ٣٧).



٢ - **يقول الله - سبحانه وتعالى - فى سورة يوسف:**

﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ﴾[1].

أى: وما كنت حاضرًا يا محمد عندما حقد إخوة يوسف عليه وألقوه فى الجب، ثم كذبوا على أبيهم حينما رجعوا عشاء فادعوا أن الذئب قد أكله، وأكدوا ادعاءهم بتلويث قميصه بدم كذب قدموه لأبيهم، ولكن الله - سبحانه وتعالى - أنجاه من مكرهم ورفعه فوقهم، حيث جعله على خزائن الأرض، ولمَّا أصابهم القحط جاءوا يطلبون منه المدد والعون، وهم لا يعرفونه، فما كنت تعرف ذلك، ولكن الذى أخبرك بذلك هو الله - سبحانه وتعالى - فى كتابٍ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

٣ - ونأتى إلى سورة **القصص** لتحكى لنا الآياتُ جانبًا من اختراق القرآن الكريم لحجاب الزمن الماضى فيما حدث لنبى الله موسى - عليه السلام -: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾[2].

وهكذا نرى أن القرآن مزق حجاب الزمن الماضى فى أكثر من مناسبة ليخبر محمدًا ﷺ بالأخبار الصحيحة عمن سبقوه من الرسل، لقد ضربنا نماذج لما جاء فى القرآن الكريم من أخبار الأمم السابقة والرسل السابقين، ومن أراد الاستزادة فليفتح كتاب الله ليتزود بما أخبر به عن خلق الكون بما فيه من سماوات وأرض وبحار وأنهار وجبال وشمس وقمر ونجوم وحيوانات وطيور.. إلخ.

ويقرأ فيه قصة خلق آدم - عليه السلام - أبى البشرية وأول إنسان خلقه الله وقصة ابنيه قابيل وهابيل وقصص الأنبياء من بعد آدم حتى محمد ﷺ.

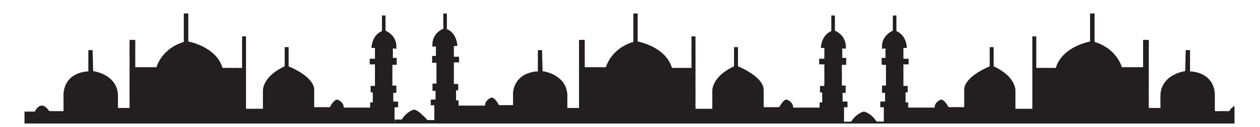
ولم يكتف القرآن بذكر الرسل السابقين بل وصحح ما حُرِّف من الكتب السماوية التى أنزلها الله وحرَّفها الرهبان والأحبار.

بل إن الإعجاز هنا جاء فى تصحيح ما حدث من تحريف الكتب السماوية التى سبقت القرآن.. وكان محمد ﷺ يتحدى بالقرآن أحبار[3] اليهود ورهبان النصارى.. ويقول لهم هذا من عند الله..

(١) سورة يوسف: (١٠٢).

(٢) سورة القصص: (٤٤ - ٤٦)

(٣) أحبار: بعض رجال الدين اليهودى والرهبان والقسس رجال الدين المسيحى.



فى التوراة أو الإنجيل.. وهذا حرفتموه فى التوراة أو الإنجيل.. ولم يكونوا يستطيعون أن يواجهوا هذا التحدى أو يردوا عليه.. ذلك أن التحدى للقرآن فى تمزيق حجاب الزمن الماضى.. وصل إلى أدق أسرار الرسالات السماوية الماضية فصححها لهم.. وبيَّن ما حرَّفوه منها وما أخفوه.. وتحداهم أن يكذِّبوا ما جاء فى القرآن فلم يستطيعوا..ومن ذلك قوله - تعالى - فى سورة مريم ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾[1].ثم جاء الأمر الثانى.. فمزق الله حجاب المكان لمحمد ﷺ.. وجاء فى أمر من أدق الأمور وهو حديث النفس.

وهنا وقبل أن نبدأ.. أحب أن نضع فى أذهاننا جيدًا أن القرآن هو كلام الله المتعبد بتلاوته.. وأنه يبقى بلا تعديل ولا تغيير ولا يجرؤ أحد على أن يمسه أو يحرِّفه ومن هنا فإن هذا الكلام حجة على محمد ﷺ مأخوذة عليه.. فإذا أخبر القرآن بشىء.. واتضح أنه غير صحيح.. كان ذلك هدمًا للدين كله..

يأتى القرآن متحدثًا عن المنافقين فى سورة المجادلة قائلًا: ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ﴾[2].. ما معنى هذا الكلام؟

معناه إمعان فى التحدى.. فالقرآن هنا لا يقول لهم لقد هتكت[3] حاجز الماضى.. وأخبرتكم بأنباء الأولين..ولا يقول لهم سأهتك حاجز المكان وأخبركم بما يدور فى بقعة قريبة لا ترونها بل يقول: سأهتك حاجز النفس.. وأخبركم بما فى أنفسكم.. بما فى داخل صدوركم.. بل بما تهمس به شفاهكم.. وقال فى كلام متعبَّد بتلاوته لن يتغير ولا يتبدل.. قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[4] وقد نزلت هذه الآية فى فريقين من يهود المدينة:

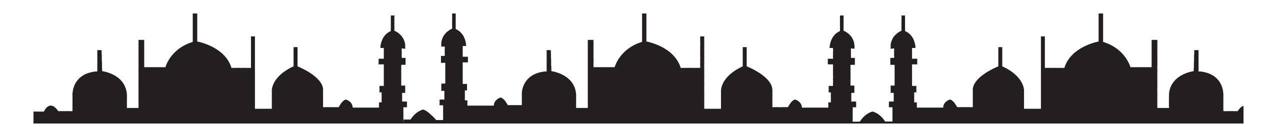
الفريق الأول: كانوا كلما مر بهم رسول الله ﷺ والمسلمون، تهامسوا وتناجوا ليغيظوا الرسول والمسلمين، وكان رسول الله ﷺ ينهاهم عن ذلك فيعودون إلى ما نهوا عنه، وهو التهامس والنجوى بالإثم والعدوان ومعصية الرسول.

(١) سورة مريم: (٣٤)

(٢) سورة المجادلة: (٨).

(٣) هتكت: مزقت

(٤) سورة المجادلة: (٨).



الفريق الثانى: كانوا إذا مروا بالرسول قالوا: السام عليكم بدلًا من السلام عليكم، ينطقونها بسرعة حتى لا يفهمها السامعون، ولكن رسول الله ﷺ كان يفهم ما يقولون فبيَّن لأصحابه مكرهم، وعلمهم أن يردوا عليهم ما قالوا، فيقولون لهم: وعليكم.

قال: ما يدور فى أنفس غير المؤمنين.. فهل هناك أكثر من هذا تحديًا لحجاب المكان؟! إنه تحدٍّ فوق قدرة كل الاختراعات البشرية التى وصل إليها العلم الآن لاختراق حجب المكان.

بل إن التحدى ظهر فيما يحرص غير المؤمنين على إخفائه.. فالإنسان حين يحرص على إخفاء شىء.. ويكون غير مؤمن يأتى إليك فيحلف لك بأن هذا صحيح وهو غير صحيح فى نفسه فقط.. ولكن حرصه فى أن يخفيه على الناس يجعله يؤكد أنه صحيح بالحلف.

ويأتى الله - سبحانه وتعالى - فيجعل القرآن يمزق نفوس هؤلاء الناس.. ويُظهر ما فيها إمعانًا فى التحدى.. ويقول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[1].. ويقول الله - سبحانه وتعالى -: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[2].. ويقول - سبحانه وتعالى - : ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[3].

ثلاث آيات نزلت فى منافقى المدينة الذين كانوا يظهرون الإيمان ويخفون فى صدورهم الكفر والحقد على الإسلام والمسلمين.

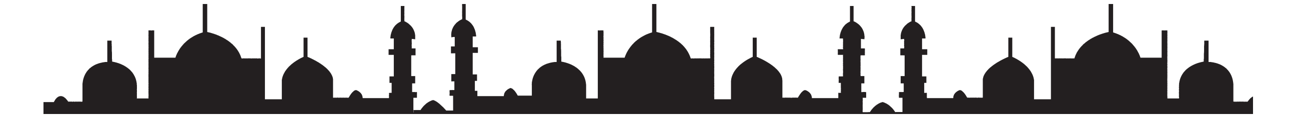
الآية الأولى: كشفت عما سيقوله المنافقون للرسول والمسلمين عند رجوعهم إلى المدينة من غزوة تبوك بعد أن تخلفوا عنها، وسوف يحلفون لهم معتذرين، حتى لا يؤنبهم على تخاذلهم وتخلفهم.

والآيتان الثانية والثالثة: تكشفان أن هؤلاء المنافقين يوالون المسلمين فى الظاهر، ويوالون الكفار فى الباطن، ويحلفون لكل فريق أنهم معهم، والحقيقة أنهم ليسوا مع الكفار ولا مع المسلمين إنما هم منافقون، إذن فالقرآن هنا جاء لأناس غير مؤمنين.. وهتك حاجز النفس بالنسبة لهم؛ فأخرج ما فى صدورهم وعرَّاهم أمام الناس جميعًا.. وفضح كذبهم.. ونشر على الدنيا

(١) التوبة: ٤٢.

(٢) التوبة: ٩٦.

(٣) المجادلة: ١٤.



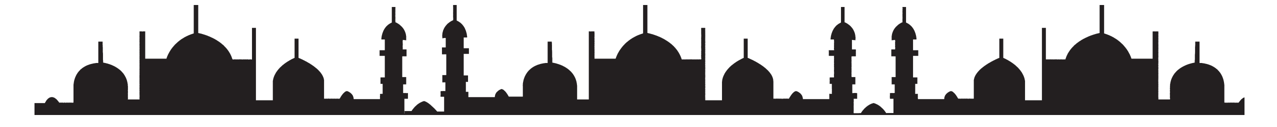
كلها ما فى صدورهم من كذب ورياء ونفاق.. أى أنه أهانهم أمام المجتمع كله.. ولو كان هذا غير صحيح لقال هؤلاء القوم إننا لم نكذب.. إننا لصادقون.. والكلام الذى يدعيه محمد بأنه يأتى من عند الله كلام غير صحيح.. ولكن هؤلاء بُهتوا من أن القرآن مزق حجاب نفوسهم فلم يستطيعوا ردًّا.. وبُهتوا لأن الله أخرج ما في صدورهم.. وعراهم أمام الناس جميعًا.. فلم يفعلوا شيئًا أكثر من أنهم تواروا[1] بعد أن افتضحت حقيقتهم.. ولو كان من عند غير الله لما استطاع أن يصل إلى داخل النفس البشرية.. وهى من أدق أسرار الدنيا التى لم يستطع علم أن يصل إليها حتى الآن.. فإذا بالقرآن يأتى متحديًا بكلام متعبد به إلى يوم القيامة لا يستطيع أحد تبديل حرف فيه ليكشف ما فى داخل النفس.. ويعرى ما تكتمه عن الناس جميعا.. وما هى حريصة على كتمانه.. حتى أنها تحلف باسم الله كذبًا ليصدقها الناس.. يأتى القرآن فيمزق هذا كله.. أتريد إعجازًا أكثر من ذلك؟

ثم بعد ذلك مزَّق القرآن حجاب المستقبل.. كان لا بد أن يكون الحديث عن المستقبل على عدة مراحل.. المرحلة المعاصرة.. لكى يعرف أصحاب الرسالة والمؤمنون أنه الحق.. ومرحلة المستقبل البعيد لكى يعرف كل عصر من العصور التى ستأتى بعد نزول القرآن أن هذا هو كتاب الله الحق.. ومن هنا كان التحدى.. بالنسبة للمعاصرين عن أحداث قريبة.. وبالنسبة للعالم عن حقائق الكون كله..

وهنا أحب أن أنبه إلى شىء مهم جدًّا هو استخدام حرف السين فى القرآن.. فحرف السين كما نعرف فى اللغة العربية لا يستخدم إلا بالنسبة لأحداث مستقبلة.. والقرآن محفوظ ومتعبَّد به وبتلاوته.. وسيظل محفوظًا حتى يوم الساعة.. ومعنى ذلك أنه لا يمكن تبديله أو تغييره أو إنكاره من أحد من المتعبدين به.. بل إنه سيظل يُتلى هكذا كما أنزل.. إذن فإنباء القرآن بأحداث مستقبلة يسجل هذه الأحداث على قضية الإيمان نفسها.. ويطعن الدين فى صميمه.. خصوصًا إذا تبين أن ما تنبأ به القرآن غير صحيح.. ومن هنا فلابد أن يكون قائل القرآن متأكدًا من أن هذا سيحدث فى المستقبل. مَنْ مِنَ البشر يستطيع أن يتأكد ماذا سيحدث له بعد ساعة واحدة؛ فما بالك بعد أيام.. وسنوات؟! الجواب.. لا أحد.. ذلك أن قدرة البشر فى صنع الأحداث محدودة. فقد حجب عنهم الزمن.. وحجب عنهم المكان.. فلو قلت مثلًا إننى سأبنى عمارة فى هذه البقعة بعد عام.. أنا لا أضمن أننى سأعيش حتى الساعة المقبلة.. وبذلك لا أستطيع أن أحكم إذا كنت سأكون موجودًا هناك أم لا. هذه واحدة..

---

(١) تواروا: اختفَوا.



ثانيًا: قد تأتى الحكومة مثلًا وتبنى مستشفى فى هذا المكان.. أو قد يقام فى هذا المكان سوق أو شارع، فأنا لا أستطيع أن أجزم فى شىء مادى سيحدث بعد فترة زمنية محدودة.. ولكن الذى يستطيع أن يقول هذا يقينا هو الذى يملك القدرة.. ومن هنا فإنه يستطيع أن يقول يقينًا: إن هذا سيحدث بعد فترة من الزمن.. والذى يملك ذلك هو الله - سبحانه وتعالى - فإذا كان الحديث عما سيحدث بعد آلاف السنين؛ فإن ذلك فوق طاقة البشر جميعًا.. لقد أنبأ القرآن بما سيحدث بعد أعوام قليلة.. وبما سيحدث بعد آلاف السنين.. فالذى قال هذا هو القادر العالم بأن ذلك سيحدث يقينًا وهو الله - سبحانه وتعالى - انظر إلى قوله - سبحانه وتعالى: ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[1].

لقد نزلت سورة القمر هذه فى مكة والمسلمون قلة.. وأذلة.. حتى أن عمر بن الخطاب قال: أى جمع هذا الذى سيهزم ونحن لا نستطيع أن نحمى أنفسنا؟ وهكذا يتنبأ القرآن بأن الإسلام سينتصر.. فى مكة.. وأن هؤلاء الجمع الذين تجمعوا لمحاربة الإسلام فى مكة سيهزمون ويولون الأدبار.. ويتنبأ بها متى؟ والمسلمون قلة.. وأذلة.. لا يستطيعون حماية أنفسهم..ويطلقها قضية.. وهو على يقين من أن الله الذى قالها سيحققها.. وبعد ذلك نجد عجبًا.. الوليد بن المغيرة العدو الألد[2] للإسلام.. والمشهور بكبريائه ومكابرته وعناده.. يأتى القرآن ويقول هذا الإنسان المكابر العنيد.. ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ﴾[3] أى أنه سيقتل بضربة على أنفه.. ويحدد موقع الضربة.. وبعد ذلك يأتى فى بدر.. فتراه قد وسم على خرطومه.. أى ضرب على أنفه.. من الذى يستطيع أن يحدد موقع الضربة ومكانها.. من الذى يستطيع أن يجزم.. ماذا سيحدث بعد ساعة واحدة؟

(١) سورة القمر: ٤٥.

(٢) الألد: الشديد العداوة.

(٣) نسمه: نعلمه بعلامة. الخرطوم: الأنف. (القلم: ١٦).

أحداث المستقبل وتحدى القرآن

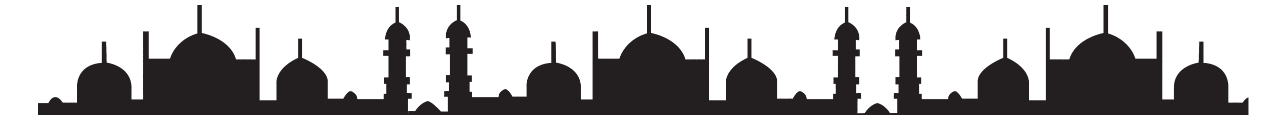
(١) تحدى القرآن للعرب

نأتى بعد ذلك إلى آية أخرى.. الرسول ﷺ يأتى فيقرأ قول الله – سبحانه وتعالى ـ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾[١]..

.. هذا قرآن.. وفيمن..؟ فى عم الرسول.. وفيمن..؟ فى عدو الإسلام.. ألم يكن أبولهب يستطيع أن يحارب الإسلام بهذه الآية؟ ألم يكن يستطيع أن يستخدمها كسلاح ضد القرآن؟ ضد هذا الدين.. قالت له الآية: يا أبا لهب أنت ستموت كافرًا، ستموت مشركًا، وستعذب فى النار.. وكان يكفى أن يذهب أبولهب إلى أى جماعة من المسلمين.. ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.. يقولها نفاقًا.. يقولها رياءً[٢].. يقولها ليهدم بها الإسلام.. لا ليدخل فى الإسلام.. يقولها ثم يقف وسط القوم يقول: إن محمدًا قد أنبأكم أننى سأموت كافرًا.. وقال إن هذا كلام مبلغ له من الله.. وأنا أعلن إسلامى لأثبت لكم أن محمدًا كاذب.. لو كان أبولهب يملك ذرة واحدة من الذكاء لفعل هذا.. ولكن حتى هذا التفكير لم يجرؤ عقل أبى لهب على الوصول إليه.. بل بقى كافرًا مشركًا، ومات وهو كافر.. ولم يكن التنبؤ بأن أبا لهب سيموت كافرًا أمرًا ممكنًا.. لأن كثيرًا من المشركين اهتدوا إلى الإسلام كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعمر بن الخطاب.. وغيرهم.. كانوا مشركين وأسلموا.. فكيف أمكن التنبؤ بأن أبا لهب بالذات لن يسلم ولو نفاقًا.. وسيموت وهو كافر؟!.. المعجزة هنا أن القرآن قد أخبر بما سيقع من عدو.. وتحداه فى أمر اختيارى.. كان من الممكن أن يقوله ومع ذلك هناك يقين أن ذلك لن يحدث.. لماذا؟ لأن الذى قال هذا القرآن.. يعلم أنه لن يأتى إلى عقل أبى لهب تفكير يكذِّب به القرآن.. هل هناك إعجاز أكثر من هذا؟!

(١) سورة المسد. ومعنى المسد: الليف الخشن.

(٢) الرياء: الكذب والنفاق.



(ب) تحدى القرآن لغير العرب

أنتقل بعد هذا إلى النقطة الثانية.. وهى ماذا حمل القرآن لغير العرب فى عصره؟ ولغير العرب والدنيا كلها بعد عصره؟ أى ماذا حمل القرآن من أنباء نواميس الله فى الأرض وقوانينه التى كانت غيبًا على البشرية كلها فى عصره وبعد عصره؟ هنا الأمثلة كثيرة.. والمجال لا يتسع لها كلها.. ولكنى سأحاول أن أبيّن عددًا منها فيما يختص بالإعجاز فى عصر القرآن لغير العرب.. فقد كان هناك أمّتان كبيرتان إمبراطوريتان بجانب الجزيرة العربية.. هما الروم و الفرس.. الروم أمة مؤمنة.. أهل كتاب[١].. ولو أنهم لا يصدقون برسالة محمد إلا أن هناك عندهم إيمانًا بوجود الله.. والقيم السماوية.. والفرس كانوا أهل كفر وإلحاد فى ذلك الوقت[٢].. لا يؤمنون بأى دين من الأديان.. إذن فأيهما أقرب إلى قلب المؤمنين؟ الروم باعتبارهم أهل كتاب؟ وأيهما أقرب إلى قلب الملحدين والكفار.. الفرس باعتبارهم مشركين وكفرة؟ قامت الحرب بين الدولتين.. فهزم الروم وانتصر الفرس.. وهنا فرح المشركون لأن الكفر قد انتصر.. وحزن المؤمنون لأن نوعًا من الإيمان قد انهزم.. وهنا يتدخل الله – سبحانه وتعالى – ليزيل عن المؤمنين هذا الحزن.. فيقول فى كلام محفوظ متعبد بتلاوته لن يجرؤ ولن يستطيع أحد أن يغير فيه:

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾[٣].

ثم يمضى القرآن ليمعن فى التحدى، قال تعالى:

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾﴾[٤].

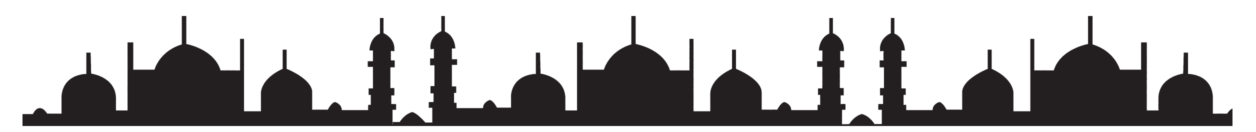
ما هذا؟ أيستطيع محمد ﷺ أن يتنبأ بنتيجة معركة ستحدث بين الروم والفرس بعد بضع سنين؟ هل يستطيع قائد عسكرى مهما بلغت قوته وعبقريته ونبوغه أن يتنبأ بمصير معركة عسكرية بعد ساعة واحدة من قيامها؟ فما بالك أن ذلك يأتى ويقول إنه بعد بضع سنين ستحدث معركة بين الفرس والروم وينتصر فيها الروم.. هل أمن محمد ﷺ على نفسه أن يعيش بضع سنين ليشهد هذه المعركة؟ ولقد

(١) الروم: كانوا على دين المسيح (مسيحيون).

(٢) الفرس كانوا يعبدون النار (مجوس).

(٣) سورة الروم الآيات: ١-٥ .

(٤) سورة الروم من الآية ٦ .



وصل الأمر بأبى بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.. أنه راهن على صحة ما جاء به القرآن.. إذن فقد أصبحت قضية إيمانية كبرى.. هذا هو القرآن.. كلام الله.. وأساس الإيمان كله.. يأتى ويخبر بحقيقة أرضية قريبة ستحدث لغير العرب.. ويقول الكفار: إن القرآن كاذب.. فيقول المؤمنون: إن هذا صدق.. ويحدث رهان بين الاثنين..

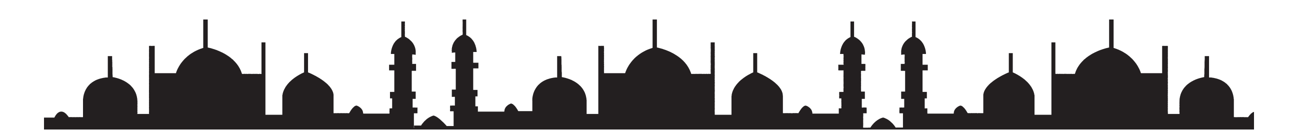
ماذا كان يمكن أن يحدث لو أنه لم تحدث معركة بين الروم والفرس؟ أو لو أنه حدثت معركة وهُزم فيها الروم؟ أكان بعد ذلك يصدق أى إنسان القرآن؟ أو يؤمن بالدين الجديد؟ ثم إذا كان القرآن من عند محمد فما الذى يجعله يدخل فى قضية غيبية كهذه لم يطلب منه أحد الدخول فيها؟ أيضيع الدين من أجل مخاطرة لم يطلبها أحد؟ ولم يتحَدَّه فيها إنسان؟ ولكن القائل هو الله.. والفاعل هو الله.. ومن هنا كان هذا الأمر الذى نزل فى القرآن يقينًا سيحدث.. لأن قائله ليس عنده حجاب الزمان.. وحجاب المكان.. ولا أى حجاب وهو الذى يقول ما يفعل.. ومن هنا حدثت الحرب.. وانتصر الروم على الفرس فعلًا.. كما تنبأ القرآن..

وهكذا تحدى القرآن الكفار وغير المسلمين فى وقت نزوله.. أى أنه لم يتحدَّ العرب وحدهم.. بل تحدَّى الكفار والمؤمنين من غير العرب.. بأن أنبأهم بما سيحدث لهم قبل أن يحدث بسبع أو ثمانى سنوات.. تحداهم بهذا؛ علهم يؤمنون.

الخلاصــــة:

إذا انتهينا إلى هذا نكون قد أثبتنا أن القرآن تحدى العرب وغير العرب فى وقت نزوله.. ولكننا قلنا إن القرآن ليس له زمان.. وليس له مكان.. وأنه سيظل حتى قيام الساعة.. فكيف يمكن أن يتحدى الأجيال القادمة؟! لا بد أن يكون للقرآن معجزة دائمة.. أن يعطى عطاءً لكل جيل لم يعطه للأجيال السابقة، وقد كان.

جاء فى القرآن أشياء لو أن أحدًا أخبر بها وقت نزوله لاتهم الذين قالوها بالجنون.. ولكنها جاءت للعصور القادمة، جاءت لتتحدى عبر الأجيال إلى يومنا.. وإلى الأيام القادمة..



مناقشة الفصل الأول

١ - أكمل العبارات التالية:

أ) القرآن الكريم هو كلام الله - سبحانه وتعالى - المنزل على ....

ب) تحدى الله - سبحانه وتعالى - بالقرآن .... و ....

جـ) لم يتحَدَّ الله - سبحانه وتعالى - الملائكة لأنهم ....

٢ - لماذا يؤيد الله - سبحانه وتعالى - رسله بالمعجزات؟

٣ - ما وجه الإعجاز فى قوله - سبحانه وتعالى -: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾؟

٤ - اختر التكملة الصحيحة مما بين القوسين فيما يأتى:

- كان قوم إبراهيم يعبدون (الأصنام - الكواكب - النار)

- الروم أقرب إلى قلب: (المؤمنين - الكفار - المنافقين)

٥ - وضح الفرق بين معجزة القرآن ومعجزات الرسل السابقين.

٦ - قال الله - سبحانه وتعالى - فى سورة ﴿القلم﴾: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾.

أ) هات معنى ﴿سَنَسِمُهُۥ﴾ وبين المراد بـ ﴿ٱلْخُرْطُومِ﴾.

ب) فيمن نزلت هذه الآية الكريمة؟ وما وجه الإعجاز فيها؟

٧ - تنبأ القرآن الكريم بأن أبا لهب سيموت وهو كافر عندما نزلت سورة ﴿المسد﴾.

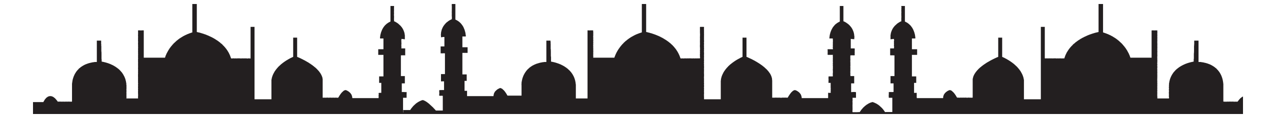
- ما وجه التحدى فى ذلك؟ وهل كان أمام أبى لهب فرصة لنقض هذا التحدى؟

٨ - قال الله - سبحانه وتعالى - فى سورة ﴿الروم﴾: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾.

أ) تخير التكملة الصحيحة مما بين القوسين فيما يأتى:

- الآيات تتحدث عن معركة بين: (الروم والعرب - الروم والفرس - الروم واليهود).

- مزقت هذه الآيات حاجز: (الزمن الماضى - الزمن المستقبل - المكان).



ب) علل: فرح المسلمون بانتصار الروم على الفرس؟

جـ) استنتج وجه الإعجاز فى الآيات الكريمة؟

٩ - اكتب بحثًا عن معجزات الأنبياء مستعينًا بمكتبة المدرسة والإنترنت.

١٠ - استعن بالإنترنت فى إعداد إحصاءات عن:

عدد سور القرآن الكريم، عدد الآيات المكية والمدنية وعدد الكلمات فى القرآن الكريم.

الفصل الثانى

وشهدوا للقــرآن وهـم كافـرون

إن إعجاز القرآن لم يتوقف.. ولن يتوقف.. وإذا كان القرآن قد تحدى الكفار فى عصر نزوله بأن أنبأهم بما يدور داخل صدورهم.. وأنبأهم بمصائرهم.. فإنه يتحدى الكفار حتى فى هذا الزمان.. فى هذا الوقت الذى نعيش فيه بل ويستخدمهم.. فى ماذا؟ فى إثبات قضية الإيمان.. إن هدف الكفار والمضلين عن سبيل الله هو إنكار هذا الدين.. وإنكار وجود الله.. ولكن القرآن جاء.. وبعد أربعة عشر قرنًا.. ليستخدم الكفار فى إثبات أن دين الله حق.. وأن هذا الكتاب هو كلام الله المنزل على رسوله محمد ﷺ.. وهذا هو موضوعنا:

الحقائق الكونية فى القرآن الكريم

مقدمة:

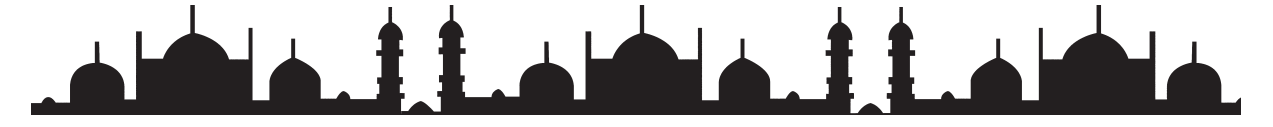
عندما يقول الله – سبحانه وتعالى ـ:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ﴾[1] فإننا نرى أن الله – سبحانه وتعالى – تكلم عن الجماد.. وتكلم عن النبات.. وتكلم عن الحيوان والإنسان.. ثم يقول الله – سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ﴾[2] العلماء فى ماذا؟ فيما يتعلق بخلق الله من الجماد والحيوان والنبات والإنسان.

ولذلك جاء الله – سبحانه وتعالى – بالمتناقضات الموجودة فى النوع الواحد.. لو أنه جنس واحد لما وجد فيه متناقضات..

(١) فاطر: ٢٧، ٢٨.

(٢) فاطر: ٢٨.



أولًا - النبات:

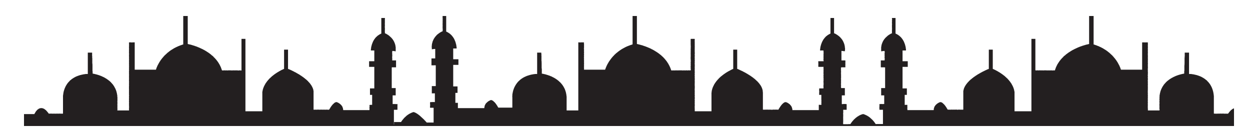
فى قوله – تعالى ـ: ﴿ثَمَرَٰتٍ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ﴾ كان يجب أن نلتفت إليها.. لماذا اختلفت ألوانها.. وما هى العلاقة بين الألوان والطبيعة.. مثلًا حينما يتغذى النبات وجد من الدراسة أنه يتغذى بواسطة خاصية الأنابيب الشعرية.. وهنا نقف قليلًا.. هل هذه الأنابيب الشعرية تميز.. هل تستطيع التمييز؟ إذا جئنا بحوض.. ووضعنا فيه سائلًا مذابًا فيه أصناف مختلفة.. ثم جئنا بالأنابيب الشعرية.. هل كل أنبوبة ميزت عنصرًا أخذته؟ أم أن كل أنبوبة أخذت من جميع العناصر وهى مذابة؟ لكن النبات ليس هكذا. إننى أزرع الحنظل بجانب القصب.. فيخرج هذا مرًّا.. وهذا حلوًا.. هذا يأخذ عناصره وهذا يأخذ عناصره من نفس التربة.. هناك اختيار.. ومن هنا ظهر ما سُمِّى بخاصية الانتخاب.. والانتخاب معناه الاختيار بين بديلات.. أى أنك تترك هذا وتأخذ.. ولذلك قال الله – سبحانه وتعالى ـ: ﴿يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾[1] لكن خاصية الأنابيب الشعرية.. تتعامل مع السائل كله.. بلا تمييز.. ومن هنا نعرف أن الخاصية شىء.. واختيار النبات للعناصر الغذائية التى يريدها أو يحتاجها شىء آخر.

ثانيًا - الجماد:

نأتى بعد ذلك للجماد.. يقول الله – سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ﴾.. هذا علم الجماد.. وهو علم الآن فيه مجلدات.. ثم بعد ذلك الإنسان.. أجناس الوجود كلها.. ثم بعد ذلك قال الله: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾.. العلماء فى ماذا؟ بهذه كلها.. إذن كلمة العلماء أطلقت على من يتفكر فى خلق الله.. سواء كان جمادًا أو حيوانًا أو نباتًا.. والذهن النشط يستطيع أن يصل إلى هذه العلوم الأرضية.. بالملاحظة والتجربة.. والدليل على ذلك إذا استعرضت تاريخ أى مخترَع من المخترعات فى الكون التى أراحت الناس.. تجد أنها نتيجة لإنسان قد لاحظ بدقة.. ولم تمر عليه المسألة كباقى الناس، والعلم مكانه المعمل والملاحظة والتجربة.

---

(١) الرعد: ٤.



نحن نتجاوز علم الأرض

ثالثًا - الإنسان والبحث فى الروح:

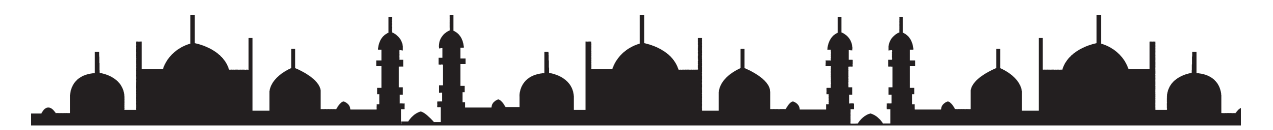
ولكننا أحيانًا نتجاوز موضوع العلم.. موضوع التجربة والمعمل.. وذلك عندما أقول مثلًا الروح قبل المادة.. أو المادة قبل الروح.. فهذا بحث فى عنصرى تكوين الإنسان الذى لم نشهد خلقه. ولا نستطيع أن نجرى عليه أى تجربة..

إن هذا يدخل فى علم الله.. فهو الذى خلق.. وهو الذى يستطيع أن يقول لنا كيف تم الخلق.. ولذلك يقول الله – سبحانه وتعالى ـ: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾[1]. إذن فهذه مسألة لا يمكن أن يصل فيها العلم البشرى إلى نتيجة.. لماذا؟ لأننا لم نحضر التجربة.. ولم نرها بالعين.. ولا نستطيع أن نجريها أو نقوم بها.. ولكن بالأذن سمعنا عن الله.. وهذا أمر غيبى عنا.. وما دام الأمر غيبيًّا عنا.. فإن الله الذى خلقنى هو الذى يحدثنى.. كيف خُلقت؟ أما أنا فإننى لا أعرف كيف خُلقت.. ومن هنا فإننى لا يمكن أن أتحدث علميًّا عن العنصرين اللذين يتكون منهما الإنسان.. وأيهما جاء أولًا.. وإذا صمم أحد على أن يبحث فى هذا.. يكون قد شغل نفسه بعلم لا ينفعه وعن جهل لا يضره.. لأنه لن يستطيع أن يدلل على ما يقول علميًّا.. وبالتجربة أنا أستطيع أن أمسك المادة وأدخلها المعمل.. ولكن لا أستطيع أن أمسك الروح وأدخلها المعمل..

العلم التجريبى لا اختلاف فيه:

والعلم يجب أن يتم على مادة صماء.. يمكن أن تدخل فى المعمل الأصم.. وتعطى حقائق صماء.. أليست هذه هى الحقيقة؟ والدليل على ذلك أن المعسكرات المتصارعة لا تختلف فى مذاهب العلم ولكنها تختلف فى مذاهب الهوى والنظريات.. لا توجد هناك كهرباء أمريكية.. وكهرباء روسية ولا توجد كيمياء إنجليزية.. كل علم الكيمياء فى أى دولة من دول العالم خاضع لما تعطيه التجربة الصماء التى لا هوى لها.. وبهذا تكون النتيجة واحدة.. سواء كان المعمل إنجليزيًّا أو أمريكيًّا أو سوفييتيًّا.. أو أى معمل من معامل الدنيا.. ولكن الخلاف يحدث عندما تتدخل مذاهب الهوى والنظريات.. فإذا جئنا إلى مذاهب الهوى.. هوى النفس.. نجد أنها متناقضة.. ليست

(١) الكهف: ٥١.



مختلفة.. ولكنها متناقضة.. هذا على النقيض من ذلك.. رأسمالية وشيوعية.. إيمان.. وإلحاد.. وإنكار للديانات لماذا؟ لأن هوى النفس دخل هنا فأفسد القضية العلمية وأضاع حقائقها.

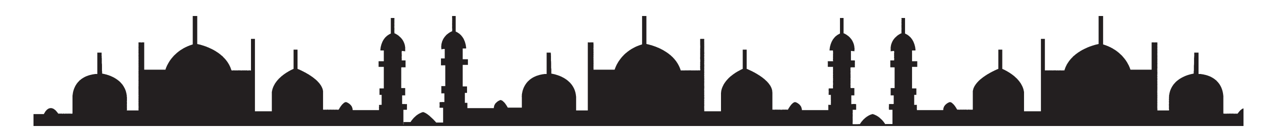
فإذا أخذنا خلق الإنسان مثلًا.. فإننا نأخذ هذا الخلق عن الله - سبحانه وتعالى - الذى خلق. ماذا قال الله - سبحانه وتعالى - قال عز وجل خلقتك من تراب، جاء ذلك فى سورة آل عمران الآية ٥٩ والكهف الآية ٣٧، والحج الآية ٥ والروم الآية ٢٠، وفى سورة فاطر الآية ١١، وغافر الآية ٦٧، قال الله - سبحانه وتعالى - خلقتك من طين، جاء ذلك فى سورة الأنعام آية ٢، والأعراف آية ١٢، والمؤمنون آية ١٢، والسجدة آية ٧، والصافات آية ١١، وفى سورة ﴿ص﴾ الآيتين ٧١، ٧٦.

وقال أيضًا.. من صلصال من حمأ مسنون فى سورة الحجر فى الآيات: ٢٦، ٢٨، ٣٣.

وقال - سبحانه وتعالى - من صلصال كالفخار فى سورة الرحمن: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾[1].

هذه ليست تناقضات فى خلق، أو تناقضات فى مادة الخلق نفسها وهى التراب، بل إن الله - سبحانه وتعالى - يبين لنا أطوار هذه المادة من التراب إلى الطين إلى الحمأ إلى الصلصال، إنها المراحل التى مرَّ بها خلق الجسد البشرى من تراب إلى ما قبل نفخ الروح فيها، وسوف نعود إلى ذلك عند حديثنا عن العلاقة بين جسد الإنسان والقشرة الأرضية الخصبة.

(١) الرحمن: ١٤.

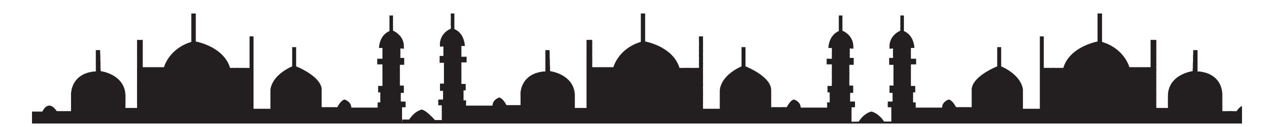


من وجــوه الإعجــاز

١ - الكفار يشهدون بصحة القرآن:

ونعود إلى الآية الكريمة: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾[1] ما معنى كلمة مضل؟ كلمة مضل تعنى أن هناك قضية حق.. وأن هناك إنسانًا يريد أن يضللني ويعطيني عكس القضية.. غير الحقيقة وهو الضلال.. هذا هو معنى مضل.. إذن قول الله ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾.. أى أننى فى ساعة الخلق لم أطلب العون أو المساعدة أو المشورة.. أو النصيحة.. من هؤلاء المضلين.. وإلا لو كان حدث ذلك.. ثم جاءوكم يخبرونكم كيف تم خلق السماوات والأرض، وكيف خُلقتم أنتم، لكان لكم العذر فى تصديقهم.. ولكن ما داموا لم يشهدوا الخلق.. ولم أطلب معونتهم.. فإن ما سيقولونه لكم غير واقع.. غير صحيح.. إنه إضلال.. وهذه معجزة من معجزات القرآن.. فقد قال لنا الله: إنه سيكون هناك مضلون.. وإن هؤلاء المضلين سيحاولون أن يقولوا لكم غير الحق فى قضية خلق السماوات والأرض.. وفى قضية خلق الإنسان.. فلا تصدقوهم؛ لأننى لم أستعن بهم ساعة الخلق.. ولم يكونوا موجودين.. إذن لو لم يحدث أن جاء أناس يضلون عن سبيل الله.. لقلنا إن القرآن غير صحيح.. لأنه أين المضلون؟ ولو وجد المضلون وتناولوا قضية أخرى غير خلق السماوات والأرض وخلق الإنسان.. لقلنا إن القرآن غير صحيح.. لأنه يوجد من يضل عن سبيل الله.. ولكنه لا يتناول فيما يقول قضية خلق السماوات والأرض.. ولا قضية خلق الإنسان.. ولكن كون المضلين جاءوا وكونهم تحدثوا عن قضية خلق السماوات والأرض وخلق أنفسهم.. وهل المادة قبل الروح؟ أم الروح قبل المادة؟ كون هؤلاء جاءوا.. وكونهم تناولوا قضية خلق السماوات والأرض.. وخلق الإنسان.. فهذا إثبات لما جاء فى القرآن عنهم.. وكأن هؤلاء المضلين الذين جاءوا ليصدوا عن سبيل الله إنما قدموا خدمة كبيرة للدعوة الإسلامية.. وللقرآن.. بأنهم أثبتوا بكفرهم صحة القرآن.. وصحة آياته.. أترى إعجازًا أكثر من ذلك؟ يستخدم الله الكفار الذين يضلون عن سبيله.. ويحاولون تكذيب القرآن.. يستخدمهم الله – سبحانه وتعالى ليقوموا وهم لا يدرون بإثبات صحة الدين الذى يحاولون أن يهدموه.. وبإثبات وجود الله – سبحانه وتعالى – وهم يريدون أن ينكروه.. فيقول فى قرآن نزل منذ أربعة عشر قرنًا إن هناك من سيأتى ليضل عن سبيل الله.. ويتخذ من قضية خلق السماوات والأرض

(١) الكهف: ٥١.



والإنسان مادة لهذا الإضلال.. وكل ما سيقولونه هو غير الواقع.. وأنا أنفى من الآن ما سيقولونه بعد مئات.. أو ألوف السنين. وأقول لكم إنه غير صحيح.

إذن فمجيئهم وأقاويلهم الكاذبة خير دليل على صدق القرآن المُنزَّل على الرسول الأمين فى بلاغه عن الله – سبحانه وتعالى.

العلاقة بين جسد الإنسان والقشرة الأرضية الخصبة:

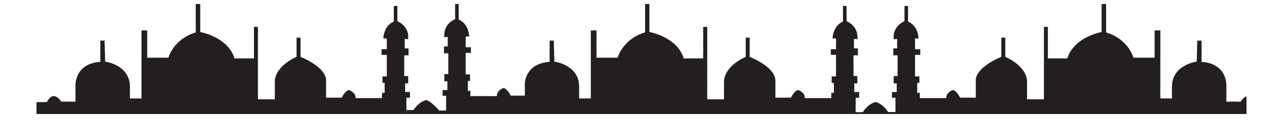
إذن فخالق الإنسان هو الله.. وخالق السماوات والأرض هو الله وهذا أمر غيبى نأخذه عمن خلق.. إلا أن الحق – سبحانه وتعالى – حين يعرض قضية غيبية.. فإنه ينير طريق العقل دائمًا بقضية نحسها ونشهدها.. تقرب القضية الغيبية التى يتحدث عنها، فالله خلقنى من تراب.. من طين.. من حمأ مسنون.. من صلصال كالفخار.. ثم نفخ فيه من روحه.

إذا أخذنا التراب.. ثم نضيف إليه الماء فيصبح طينًا.. ثم يترك لتتفاعل عناصره فأصبح حمأ مسنونًا كالذى يستخدمه البشر فى صناعتهم.. ثم يجف فيصبح صلصالًا.. هذه أطوار خلق الجنس البشرى.. والبشر تم خلقهم من الطين.. من الأرض..

فإذا جئنا للواقع.. فلنسأل أنفسنا: الإنسان مقومات حياته من أين؟ من الأرض.. من الطين.. هذه القشرة الأرضية الخصبة هى التى تعطى كل مقومات الحياة التى أعيشها.. إذن فالذى ينمى المادة التى خلقت منها هو من نفس نوع هذه المادة.. وهى الطين.. ولقد حلل العلماء جسد الإنسان فوجدوه مكونًا من ستة عشر عنصرًا.. أولها الأكسجين.. وآخرها المنجنيز.. والقشرة الأرضية الخصبة مكونة من نفس العناصر.. إذن عناصر الطين المخصب هى نفس عناصر الجسم البشرى الذى خلق منه.. هذا أول إعجاز.. وهذه تجربة معملية لم يكن هدفها إثبات صحة القرآن أو عدم صحته.. ولكنها كانت بحثًا من أجل العلم الأرضى.

٢ - الموت دليل على الحياة لأن الموت نقض لها:

ولقد جعل الله – سبحانه وتعالى – من الموت دليلًا على قضية الخلق.. فالموت نقض للحياة.. أى أن الحياة موجودة.. وأنا أنقضها بالموت.. ونقض كل شىء يأتى على عكس بنائه.. فإذا أردنا أن نبنى عمارة نبدأ بالدور الأول.. إذا أردنا أن نهدمها نبدأ بالدور الأخير.. إذا وصلت إلى مكان وأردت أن أعود.. أبدأ من آخر نقطة وصلت إليها.. إنها تمثل أول خطوة فى العودة.. ونحن لم نعلم عن خلق الحياة شيئًا.. لأننا لم نكن موجودين ساعة الخلق.. ولكننا نشهد الموت كل يوم..



والموت نقض الحياة.. إذن هو يحدث على عكسها.. أول شىء يحدث فى الإنسان عند الموت. أن الروح تخرج.. وهى آخر ما دخل فيه.. أول شىء خروج الروح.. إذن آخر شىء دخل فى الجسم هو الروح.. ثم تبدأ مراحل عكس عملية الخلق..

يتصلب الجسد.. هذا هو الصلصال.. ثم يتعفن فيصبح رمة.. هذا هو الحمأ المسنون.. ثم يتبخر الماء من الجسد ويصبح الطين ترابًا.. ويعود إلى الأرض.. إذن مراحل الإفناء التى أراها وأشهدها كل يوم هى عكس مراحل الخلق.. فهناك الصدق فى مادة الخلق.. والصدق فى كيفية الخلق.. كما هو واضح أمامى من قضية نقض الحياة وهى الموت..

الحياة نفخ من روح الله:

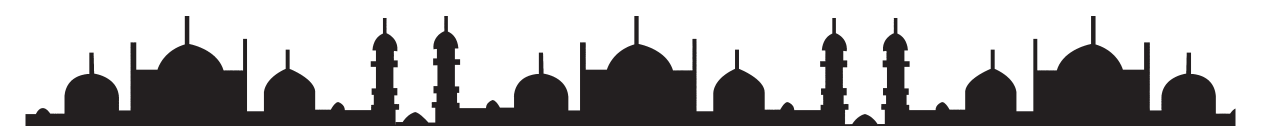
شىء آخر.. يقول الله – سبحانه وتعالى–: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[1].. معنى ذلك أن الحياة فى الإنسان بدأت بالنفخ فيه من روح الله وبماذا ستنتهى الحياة؟ تنتهى بخروج الروح فلا نفس فيه.. فأنت إذا شككت فى أن أى إنسان قد فارق الحياة يكفى أن يقال لك إنه لا يتنفس.. لتتأكد يقينًا أنه مات.. إذن دخول الحياة إلى الجسد هو دخول هذا النفس.. مصداقًا لقوله – سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ وخروجها هو خروج هذا النفس فالمسألة يقينا كما قال الله.

٣ - معجزة القرآن فى إخباره بعلم الأجنة:

وإذا كنا نريد إعجازًا أكثر.. فلننظر ماذا قال القرآن فى علم الأجنة.. علم تكوين الجنين فى بطن أمه.. هل تناول أحدٌ هذه المسألة قبل القرآن أو عصر القرآن.. أو بعده بفترة؟!.. أبدًا.. أول من تحدث عنها هو القرآن وأعطانى ما هو غائب عنى.. لأن خلقى هو غيب عنى فكون الله – سبحانه وتعالى – يأتى فى قرآنه ويعطينى مراحل تكوين الجنين..فهذه آية من آيات عظمته وقدرته.. وعلمه.. يقول الله فى أطوار الجنين: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾[2].. فالآية الكريمة تتحدث عن تكوين الجنين، فهو نطفة، أى: مَنِىّ الرجل الذى يصب فى رحم المرأة، ثم علقة.. أى: دم جامد، ثم مضغة.. أى: قطعة من اللحم، ثم عظم صغير، ثم يكسى العظم باللحم الذى يغطيه.. ليصير بعد ذلك بشرًا سويًّا.

(١) الحجر: ٢٩.

(٢) المؤمنون: ١٣ – ١٤.



وعلم الأجنة ما عرفه النـاس إلا حديثًا.. والقـرآن كما قلـت كلام متعبَّد بتلاوته.. لا تبديل فيه ولا تغيير.. أى أن القضية التى يذكرها ستبقى كما هى إلى آخر الدنيا.. فعندما يأتى القرآن ويخبر بهذا فكأنه يتحدى العلم والعلماء.. إلى يوم القيامة.. يقول لهم هذا هو تكوين الجنين فى بطن أمه.. وأنا أذكره لكم وأذكر مراحله بالتفصيل، لم يشهده أحد من البشر حتى ساعة نزول هذا القرآن.. ولا حتى بعد نزوله بمئات السنين.. ولكن أسجله لتعلموا عندما أعطيكم من العلم ما تستطيعون به معرفة أطوار الجنين.. لتعلموا أن القائل هو الخالق.. لأنه لا يمكن لأحد أن يقول هذا الكلام وأن يتحدى بصحته على مر العصور.. وأن يخترق الحجب ليروى شيئًا لم تكن البشرية تعرفه أو تعلم به.. إلا أن يكون ذلك هو الله.. وإلا فكيف يأمن أى إنسان؟ أى بشر مهما بلغ من العلم.. كيف يأمن أنه بعد عشرات السنين.. أو مئات السنين لن يأتى ما يناقض هذا الحديث؟ وما يثبت عدم صحته.

فإذا لم يكن الحديث هنا عن الله.. وإذا لم يكن عن يقين كامل فكأن القرآن قد أعطى معه وسيلة هدمه.. كان يكفى أن يقول إنسان إن القرآن يقول هذا عن أطوار الجنين.. وقد أثبت التقدم العلمى أنه غير صحيح.. كان يكفى أن يقال هذا ليهدم قضية الدين من أساسه.. ويكون القرآن قد أعطى للكفار أقوى سلاح يهدمونه به، فالذى كشف علم الأجنة متأكد تمامًا أن ما يقوله هو الحق.. وأن تطور العلم مهما جاء فإنه لن يأتى ليناقض هذا الكلام..ولقد أثبتت أحدث البحوث عن الجنين.. صحة ما ذكره القرآن منذ أربعة عشر قرنًا.. ولم تختلف عنه.. فى أى تفصيل من التفصيلات.. رغم أن هذا كان أمرًا غيبيًّا.. وأمرًا لم يتحدث عنه أى إنسان قبل أن يأتى القرآن.. ومع ذلك فقد ذكره القرآن بالتفصيل.. وحدّد أطواره وجاء العلم بعد ذلك ليثبت هذه الحقيقة.. إذن فلابد أن قائل القرآن هو الله؛ لأن الذى يعلم يقينًا هو الله وحده..

مراكز الإحساس بالجلد

نأتى بعد هذا إلى نقاط سأمر عليها بسرعة.. لأن آيات الله كثيرة جدًّا فى الأرض.. وكلها تنطق بإعجاز القرآن.. يقول الله - سبحانه وتعالى - ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾(١) هذه الآية عن الكفار يوم القيامة والهدف منها هو التأكد على أن يقول الله إن العذاب سيستمر فى الآخرة: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾(٢).

.. وكانوا يقولون إن مراكز الإحساس موجودة فى المخ.. وإن الجلد ليس فيه مراكز إحساس.. كان هذا هو الحديث حتى فترة وجيزة.. أما أيام نزول القرآن فلم يكن أحد يعرف شيئًا عن ذلك على الإطلاق.. فيأتى الله - سبحانه وتعالى - ويقول: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾(٣) فكأن العذاب له صلة بالجلد.. والإحساس بالعذاب يأتى من الجلد.. ثم يكتشف العلم أخيرًا أن مراكز الإحساس بالألم موجودة فعلًا فى الجلد.. وهى التى تحس بالعذاب(٤).

٥ - الذَّرة:

ونأتى إلى القرآن فنجده ربما كان أول كتاب فى العالم كله.. أخبر: أنه يوجد شيء أصغر من الذرة.. فيقول - سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾(٥).. لأن الذرة هى أدق ميزان فى العالم.. ثم يأتى فى آية أخرى ويقول الذرة: ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾(٦).. إذن فهناك شيء أصغر من الذرة.. وهذا الشيء مقيد فى كتاب الله ومكتوب.. ويأتى العلم الحديث ويكتشف جزيئات الذرة ليؤكد صحة ما جاء فى القرآن الكريم.

(١) النساء: ٥٦.

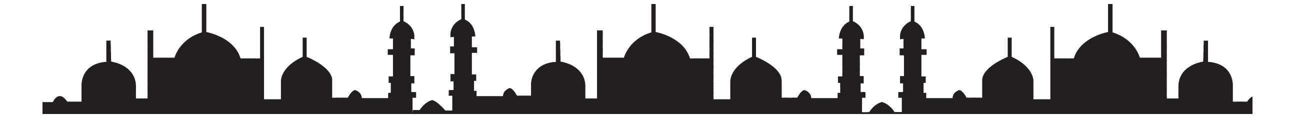
(٢) الزخرف: ٧٤ - ٧٥.

(٣) النساء: ٥٦.

(٤) يؤكد العلم الحديث أن كل سنتيمتر فى الجلد يستقبل ٨٠٠ مؤثر، والأذن والعين كل منها يستقبل ١٨ مؤثرًا ولو زاد العدد فقد الإحساس.

(٥) الزلزلة: ٧، ٨.

(٦) يونس: ٦١.



٦ - وسائل المواصلات الحديثة:

يأتى الله – سبحانه وتعالى – ليرينا كيف يعالج قضية أخرى.. يعالجها بما يناسب عقول الذين عاصروا نزول القرآن إلى الأرض.. وتفكير كل الأجيال القادمة.. يأتى فيقول: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾[(١)].

أى أنه وهو يتحدث عن نعمة، قد حدد للإنسان ما خلقه له ليساعده على التنقل فى الأرض..

ولكن هل هذا هو نهاية المطاف؟ لو أننى أفكر بتفكير ذلك العصر.. العصر الذى نزل فيه القرآن لقلت إنها نهاية المطاف.. ولكن الله يعلم أن الإنسان سيركب السيارة، والصاروخ والطائرة.. وأن كل جيل سيختلف عن الجيل الآخر بوسائل التنقل.. فكيف يسجل ذلك دون أن يقول ما هو فوق عقول الناس فى ذلك الوقت.. ما قد يُذهب الإيمان فى نفوسهم.. يقول الله – سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[(٢)].

أترى بلاغة القرآن.. قد سجل علم الله وفى نفس الوقت احتفظ به غيبًا على الذين عاصروا نزول القرآن.. ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.. هنا معناها أن ما ذكرته ليس نهاية المطاف..ولذلك فأنا أقول لكم من الآن: إن هذه هى وسائل تنقلكم ولكنى سأخلق فى الأجيال القادمة ما لا تعلمون أنتم.. وسأخلق للأجيال التى بعدها ما لا تعلمه الأجيال القادمة.. وهكذا إلى نهاية الدنيا.. ومن هنا فقد سجل القرآن التطور الذى سيحدث.. وفى نفس الوقت احتفظ بعبارته فى مستوى العصر الذى نزل فيه..

دعوة القرآن إلى إمعان النظر فى الكون:

والله – سبحانه وتعالى – يقول: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾[(٣)].

أى أن هناك أشياء عجيبة خلقها الله فى السماوات والأرض تتطلب من الإنسان أن يمعن[(٤)] النظر فيها.. ولكنه لا يمعن النظر رغم أن الله – سبحانه وتعالى – طلب منا أن نمعن النظر فى آياته.. وأن نستخدم نشاطات الذهن فى اكتشاف نشاطات الكون..

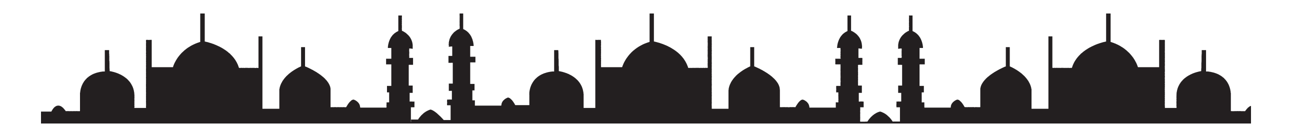
---

(١) النحل: ٨.

(٢) النحل: ٨.

(٣) يوسف: ١٠٥.

(٤) يمعن: يدقق.



مناقشة الفصل الثانى

١ - ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾.

اشرح الآية وبين ما يقصده المفسر من كلمة (العلماء).

٢ - «عندما نبحث عن الروح والمادة نتجاوز علم الأرض ، لأنها مسألة لا يمكن أن يصل فيها العلم البشرى إلى نتيجة».

(أ) ما الفرق بين الروح والمادة؟ وما العلاقة بينهما؟

(ب) لماذا نتجاوز علم الأرض بالبحث فى هذه القضية؟

(جـ) ما المرجع الحقيقى فى قضية الروح والمادة؟

٣- ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة:

(أ) العلم الإنسانى علم محدود.

(ب) ليس للإنسان حرية البحث فى العلوم الغيبية.

(جـ) الموت نقيض الحياة ولكنه ليس دليلاً على الحياة.

(د) القرآن تحدث عن التطور العلمى فى المواصلات بدون تحديد.

٤ - قال الله - سبحانه وتعالى -:

(أ) ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾.

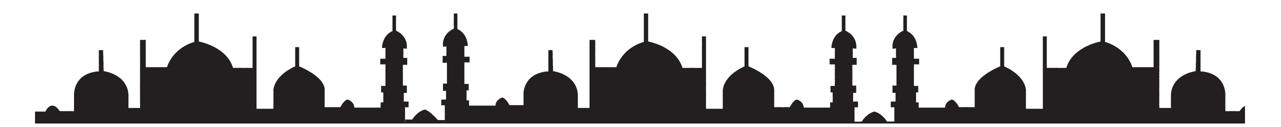
(ب) ﴿وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

(جـ) ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾.

اذكر مواطن الإعجاز القرآنى فى الآيات السابقة.

٥ - كيف تثبت أن الإنسان خلق من تراب؟

٦ - يقول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾.



(ا) من الذين تتحدث عنهم الآية الكريمة؟

(ب) وجود الكافرين المضلين دليل على صدق القرآن .. ناقش هذه العبارة.

(جـ) ما واجب المؤمن نحو الغيبيات؟

٧- جاء فى القرآن الكريم أن الإنسان مخلوق من تراب، وجاء أيضا أنه مخلوق من طين، ومن حمأ مسنون ومن صلصال كالفخار .. فهل ترى تناقضًا بين هذه الأشياء؟ وضح ذلك.

الفصل الثالث

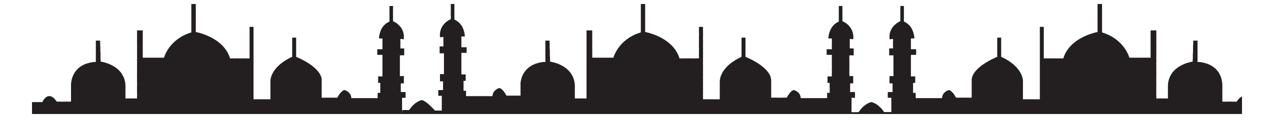
القــرآن والعلم

مقدمة:

الكون ملىء بآيات العلم التى تدل على وجود الله، وليس معنى ذلك أننا نستدل على صحة القرآن بالعلم، بل إن القرآن هو المهيمن والمسيطر وهو الحق، وما العلم إلا كاشف لقدرة الله فى الكون، فما جاء به القرآن نحن نؤمن به إيمانا غيبيًّا لا يرقى إليه أى شك، ولا نريد عليه دليلا: لأن دليلنا ويقيننا أن الله هو الذى قال، ولكننا نرد على غير المؤمنين. ولذلك فنحن نتحدث إليهم بالحجة والدليل المادى بما لا يستطيعون أن يردوا عليه .. ونحن لا نقدر أن نحيط بكل آيات الله فى الكون: لأن آيات الله أكبر من أن يحيط بها بشر مهما كانت قدرته وعلمه.

وفى جولة تشمل الكون المحيط بنا، وحسب قدرتنا البشرية، سنثبت أن لله آيات ومعجزات ذكرت فى القرآن الكريم، واعترف غير المؤمنين أنه لا يمكن أن يكون منزل هذه الآيات إلا الله – سبحانه وتعالى – ولذلك فإننا سنجوب الكون لنعطى مثلًا واحدًا من عدة أماكن، ففى خلق الإنسان آيات، وفى الجبال آيات، وإذا صعدنا إلى السماء وجدنا آيات، وإذا نزلنا إلى باطن الأرض كانت هناك آيات، وإذا غصنا فى أعماق البحار كانت هناك آيات، وسوف نعطى هنا بعض اللمحات فقط؛ لأننا إذا أردنا أن نحيط بكل شىء فنحن نحتاج إلى مجلدات كثيرة.

عندما نزل القرآن كان له أكثر من معجزة. تحدى العرب فى بلاغتهم .. ثم مزق حواجز الغيب الثلاثة .. مزق حجاب الزمن الماضى وروى لنا بالتفصيل تاريخ الرسل وحوادث من سبقنا من الأمم .. وتحدى فيها .. ثم مزق حجاب المكان .. وروى لنا ما يدور داخل نفوس الكفار الذين يحاربون الإسلام وما يبيتون للمسلمين .. وروى لنا ما يدور داخل نفوسهم ولم تنطق به شفاههم .. ولم يجرؤ واحد منهم أن يكذب القرآن ويقول لم تهمس نفسى بهذا .. ثم مزق حجاب المستقبل القريب ... وتنبأ بأحداث ستقع بعد شهور، وبأحداث ستقع بعد سنوات .. وتحدى .. وحدث كل ما أنبأ به القرآن .. هذا ما بينته فى الفصل السابق بالتفصيل .. وضربت الأمثلة عليه ..



لماذا لم يتحدث القرآن عن أحداث المستقبل بالتفصيل؟

مزق القرآن حجاب المستقبل البعيد .. ليعطى الأجيال القادمة من إعجازه ما يجعلهم يصدقون القرآن ويسجدون لقائله وهو الله .. ولكن القرآن نزل فى زمن لو أن هذه المعجزات المستقبلة جاءت تفصيلية لكفر عدد من المؤمنين. وانصرف آخرون . ذلك أن الكلام كان فوق طاقة العقول فى ذلك الوقت .. ومن هنا وحتى لا يخرج المؤمن عن إيمانه ويستمر الإعجاز .. جاء القرآن بنهايات النظريات .. بقمة نواميس الكون .. إذا تليت على المؤمنين فى ذلك الوقت .. مرت عليهم .. ولم ينتبهوا إلى مدلولها الحقيقى العلمى لأنهم يؤمنون بالغيب، ويصدقون الرسول ﷺ فيما يبلغه عن ربه.. وإذا تليت بعد ذلك على الأجيال القادمة .. عرفوا ما فيها من إعجاز وقالوا إن هذا كلام لا يمكن أن يقوله شخص عاش منذ آلاف السنين .. إذن لابد أن هذا القرآن حق من عند الله .. وأن قائله هو الله الخالق.

أحكام الدين نزلت مفصلة:

بقيت نقطة .. هل يأتى هذا فى الأحكام؟ الجواب: لا .. إن أحكام الدين : افعل ولا تفعل نزلت، كاملة واضحة مفصلة .. لا لبس فيها ولا إضافة عليها ولا تبديل ولا غموض .. منهج الله كامل فسرته الأحاديث القدسية والأحاديث النبوية .. شرح وفسر في عهد الرسول ﷺ تفسيراً كاملًا .. بحيث أصبح واضحًا لكل إنسان يريد أن يعبد الله وأن يعيش فى الأرض طبقاً لقوانين الله : افعل ولا تفعل .. جاءت واضحة وكملت وفسرت فى عهد الرسالة .. وأصبح الحلال بينًا .. والحرام بينًا .. والدين بينًا .. أما آيات الله فى الكون .. فنلاحظ أنها لم تفسر تفسيرًا كاملًا فى عهد الرسول ﷺ .. لأن لها عطاء يتجدد فى كل الأجيال .. وهذه الآيات هى التى سنتحدث عن بعضها..

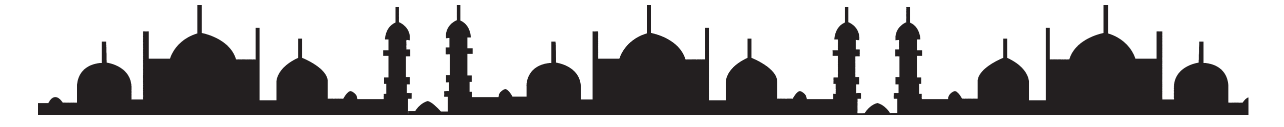
من آيات الله فى الكون:

(أ) الإعجاز اللغوى:

لقد تحدى القرآن العرب بالإعجاز فى اللغة .. طلب أن يأتوا بمثل القرآن .. ثم زاد فى التحدى طلب أن يأتوا بعشر سور، ثم قال بسورة من مثله .. زيادة فى التحدى.

(ب) الإعجاز العلمى:

ولكن التحدى للعالم لا يمكن أن يكون باللغة .. فاللغات مختلفة .. إذن بماذا تحداهم؟ بالعلم .. وكان التحدى مطلقًا إلى يوم الدين .. قال أنتم جميعًا لن تستطيعوا أن تخلقوا شيئًا حتى نهاية العالم .. ثم تحداهم بخلق ماذا؟ أبخلق كون كالذى خلقه؟ .. لا . أبخلق مجموعة شمسية من عشرات المجموعات الشمسية الموجودة فى الكون؟ لا . أبخلق شمس أو قمر أو نجم ؟ لا .. إذن تحداهم بخلق



الكرة الأرضية مثلًا؟ أبدًا .. لابد أنه تحداهم بخلق الإنسان؟ .. أبدًا لم يتحداهم بشىء من ذلك.

١- التحدى بخلق ذبابة:

لقد تحداهم أن يخلقوا ذبابًا .. وكأنه يقول إننى أنا الله أقول لكم سأعطيكم من العلم. وأريكم آياتى فى الآفاق .. ولكنكم لن تخلقوا ذبابة .. ولو اجتمع لذلك كل علماء الأرض فى كل العصور .. وهكذا تحدى الله البشرية كلها إلى يوم القيامة بأن يخلقوا ذبابة .. وقال إن العلم الذى ستعبدونه من دون الله .. والذى ستؤمنون به .. هذا العلم وكل القائمين عليه.. لن يستطيعوا أن يخلقوا ذبابة ولو اجتمعوا .. قال تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[١] .. والعجيب أن الإنسان قد وصل إلى القمر وقد يصل إلى المريخ .. وقد يستكشف أبعد عن ذلك .. ولكنه عاجز عن أن يخلق جناح ذبابة حتى الآن، بل إنه عاجز عن أن يستنقذ منه شيئًا التقطه وهو طلب ضعيف جدًّا بالنسبة لقدرة الله – سبحانه وتعالى – فى خلق الكائنات ولذلك قال الله: (ضعف الطالب والمطلوب)[*].

٢- التحدى باستمرار الحياة بالماء:

ثم أضاف الله – سبحانه وتعالى -: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ أى أن قدرة الله – سبحانه وتعالى – تفوق كل الحدود والتصورات التى قد ترد على خواطركم .. وأنتم لا تعرفون قدرة الله .. ثم تحدى الله بعد ذلك فى قرآنه .. تحدى باستمرار الحياة .. الماء الذى خلق منه كل شىء حى .. قال – سبحانه وتعالى – : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[٢] فهل خلقه الإنسان وأوجده؟ لا .. فالله هو الذى أنزله من السماء قال الله – سبحانه وتعالى – : ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾﴾[٣] وقال الله – سبحانه وتعالى – : ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾[٤].

أى أن الله – سبحانه وتعالى – هو الذى يرسل إليكم الأمطار .. والماء يأتى مدرارًا ليسقى الدنيا كلها .. البشر والطيور والوحوش والزرع وكل شىء حى .. هذا الماء الذى تعب منه البشرية كلها عبًّا

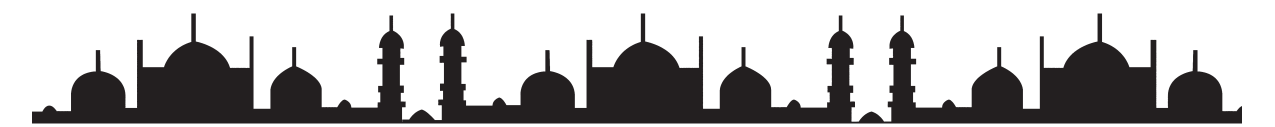
(١) الحج: (٧٣ – ٧٤).

* قد يقال إن العلماء قد ابتكروا الإنسان الآلى وهو يؤدى الأعمال التى تطلب منه. ولكن ما حجمه؟ وهل ينمو؟ وهل يتناسل؟ وهل يتحرك ذاتيًّا من غير كهرباء أو موتور؟ وهل..؟

(٢) الأنبياء (٣٠).

(٣) الواقعة (٦٨ . ٦٩).

(٤) لقمان: (٣٤).



.. تجد الإنسان عاجزًا عن أن يصنع نهرًا .. مع أن عناصر تكوين الماء موجودة فى الكون .. أمام العلماء .. والمساحات الشاسعة من الصحارى فى الأرض محتاجة إلى قطرة ماء..

٣- التحدى بعدم الهروب من الموت:

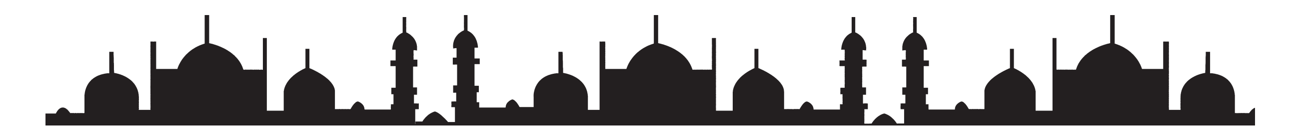
ثم تحدى الله – سبحانه وتعالى – بعد ذلك .. تحدانا بأن نهرب من الموت .. قال: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾[1]. أى أن الله – سبحانه وتعالى – يتحدى.. مهما وصلتم إلى العلم وأتقنتم أسباب الموت فلن تستطيعوا أن تنجوا من الموت .. إنكم تقولون فى العلم الأرضى: إن الموت يحدث بسبب جراثيم كذا وأمراض كذا إلى آخره .. حسنًا .. شيدوا برجًا وضعوا فيه إنسانًا .. وأبعدوا عنه كل المخاطر التى فى رأيكم وفى نظركم وفى علمكم تسبب الموت .. فلا هو يحارب ولا يمشى فى أى مكان ليصاب فى حادث .. ولا يستنشق هواء ملوثًا بل يستنشق هواء نقيا .. ويأكل من طعام مطهو على أحدث الوسائل الصحية .. ويشرب من ماء ليس فيه جرثومة واحدة .. والجو الذى يعيش فيه منقًّى إلى آخر درجات العلم.. هنا نكون قد أبعدنا عن هذا الإنسان كل مسببات الموت التى نعرفها.. ومع ذلك هل يمكن أن يكتب لإنسان مثل هذا الخلود رغم أننا منعنا عنه كل الأسباب الظاهرية للموت .. الجواب طبعا مستحيل .. لأن الله هو الذى يحيى ويميت .. والأسباب لا تفعل بنفسها ولكنها تفعل بإرادة الله ...

٤- التحدى بالمغيبات الخمس:

ثم تحدى الله العالم كله فى القرآن بخمس مغيبات .. قال – سبحانه وتعالى – : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾[2] تحدى الله بهذه المغيبات .. تحدى البشر جميعًا .. فكأن القرآن كما تحدى العرب فى اللغة عندما نزل .. حمل تحديات للعالم أجمع .. وقال لهم: إنكم لن تصلوا إلى كذا وكذا إلى آخره .. عشرات التحديات التى ساقها القرآن للبشرية جميعًا .. قال لن تصلوا إلى كذا .. لن تفعلوا كذا لن تخلقوا كذا .. وكانت هذه التحديات لكل البشرية .. ولكل العصور..

(١) النساء : (٧٨).

(٢) لقمان : (٣٤).



«ما» عامة فى ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِ﴾:

كذلك مثلا قول الله – سبحانه وتعالى – : ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾ يأتى إنسان ليقول إن معنى ويعلم ما فى الأرحام .. أن الله يعلم هل الطفل الذى فى بطن أمه ذكر أم أنثى، فإذا جاء فى نشاط العلم أنهم يستطيعون بطريقة ما أن يعرفوا قبل ولادة المولود بفترة إذا كان ذكرا أو أنثى .. يقول بعض الناس إن ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾ قد خرجت عن المغيبات الخمس التى اختص الله –سبحانه وتعالى – بها علمه يتحدى بها البشر أجمعين .. ويبدأ هنا الجدل ولكن السؤال الذي كان يجب أن يوجه إلى قائل هذا الكلام هو: من الذى أخبرك أن معرفة نوع الجنين إذا كان ذكرًا أو أنثى هو معنى الآية الكريمة ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾ من الذى حصر كلمة (ما) فى ذكر أو أنثى؟ وهى مطلقة على العموم .. إنك ادعيت أن (ما) هى ذكر أو أنثى .. وقلت إنها الحقيقة القرآنية .. ولكن مدلول (ما) أكثر من ذلك كثيرًا.. ذكر أو أنثى حقيقة .. وطويل أم قصير حقيقة أخرى .. وأسمر أو أبيض أو أشقر حقيقة ثالثة .. وسعيد أو شقى حقيقة رابعة .. وذكى أو غبى حقيقة خامسة.. وكم سيبقى فى الحياة؟ وما هو عمره؟ حقيقة سادسة، ومريض أم معافى؟ حقيقة سابعة.

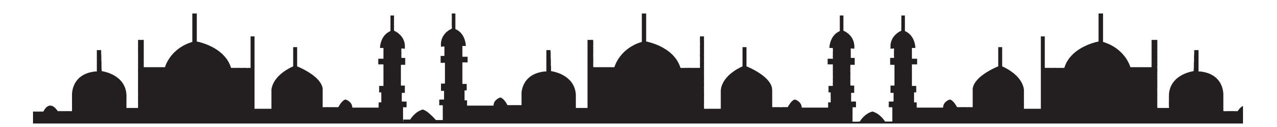
وأستطيع أن أمضى إلى مئات .. بل وألوف الحقائق التى عبر الله – سبحانه وتعالى– عنها بكلمة (ما) فى الآية الكريمة ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾.

وبعد أن تحدى الله البشر جميعًا قال: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ [(١)] لم يقل سنريهم آياتنا فى الأرض .. ولا فى الأفق .. بل قال (فى الآفاق)

أى أن الله – سبحانه وتعالى– سيكشف لعباده بعضًا من آياته لا فى أفق واحدة، بل فى كل الآفاق ولا فى شىء بعيد عنهم، بل فى أنفسهم ليتبين لهم أن هذا القرآن هو الحق وكيف يتبين لهم أنه الحق؟ .. ذلك أن حقائق الكون التى سيصلون إليها بعد مئات السنين أو آلاف السنين بنشاطات الذهن .. سيجدون القرآن قد أشار إليها .. وحينئذ يتبين لهم أن هذا القرآن هو الحق ..لأن الذى قال هو الله ... والذى خلق هو الله.

ومن هنا جاء فى القرآن أن الأرض كروية .. وأنها تدور ..وجاء فيه كيفية خلق الإنسان .. وكيف تعلم الكلام .. وجاء فيه أن هناك ما هو أصغر من الذرة .. وجاء فيه وصف دقيق لما يحدث للجنين وهو فى بطن أمه .. وجاء فيه أن الليل والنهار يوجدان على الأرض معًا .. وحقائق أخرى كثيرة لا يتسع المجال للحديث عنها.

(١) فصلت : (٥٣).



تحديد معنى العلم:

على أننا قبل أن نمضى فى هذا الموضوع يجب أن نحدد معنى العلم..

فأنت حين تحدثنى عن حقيقة علمية أسألك هل هى واقعة؟ فإذا قلت نعم .. أسألك: أأنت جازم بها؟ فإذا قلت نعم .. أسألك هل تستطيع التدليل عليها؟ فإذا قلت نعم .. فهذا هو العلم.

فالعلم نسبة واقعة مجزوم بها وعليها دليل .. ولكن افرض أننى جازم بالنسبة وهى ليست واقعة .. هذا هو الجهل .. نسبة مجزوم بها وهى غير واقعة .. وآفة[1] الدنيا كلها الجهل .. فالذى لا يعرف نسبة أو حقيقة علمية يمكن أن يتعلمها ..ولكن المصيبة فى ذلك الذى يجزم أو يصدق فى قضية كاذبة ثم يقيم الدنيا محاولا أن يدلل على شىء غير حقيقى .. وهذا ما تعانى منه البشرية...

القرآن والعلم:

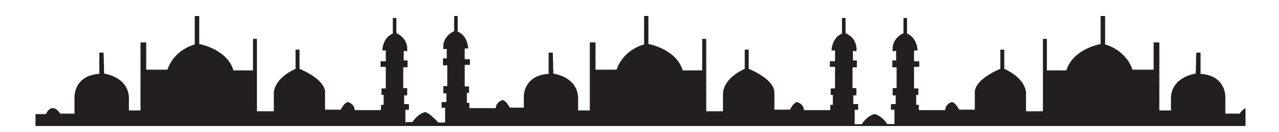
وإذا تحدثنا عن القرآن والعلم .. فإن العلم هنا المراد به علم البشر الذى يوجد فى زوايا الكون المتعددة .. ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[2] ونحن أحيانا ندعى حقيقة علمية .. وهى ليست حقيقة علمية .. أو ندعى حقيقة قرآنية وهى ليست حقيقة قرآنية .. الأولى ادعاء حقيقة علمية وهى مجرد نظرية وتخمين .. أمر سهل معروف ... فعشرات من النظريات العلمية ثبت خطؤها بعد فترة وكانت تمثل مجرد ظن وتخمين .. فادعاؤنا بأنها حقيقة قرآنية وهى ليست حقيقة قرآنية خطأ كبير ... ما هو؟

الحقيقة الثانية - لا تصادم بين القرآن والعلم:

لا تصادم بين حقائق الكون والقرآن .. إذا كان هناك تصادم .. يوجد عندما ندعى حقيقة علمية فى الكون .. وهى ليست حقيقة علمية .. أو ندعى حقيقة قرآنية وهى ليست قرآنية لا يمكن أن نصدم أبدا بحقيقة علمية ثبتت بالتجربة .. لأن قائل القرآن هو الله والفاعل هو الله .. إذا انتهينا إلى ذلك .. يكون علينا أن نوضح نقطة صغيرة قبل أن نمضى فى حديثنا .. إن الذين يقولون إن القرآن لم يأت ككتاب علم صادقون .. ذلك أنه كتاب أتى ليعلمنى الأحكام .. ولم يأت ليعلمنى الجغرافيا أو الكيمياء أو الطبيعة .. وفى نفس الوقت عندما نقول: إن القرآن ذكر لى معجزات لم يصل العلم إلى بعضها حتى الآن .. فهذا صحيح أيضا .. إن هذه المعجزات هى ما تنتهى إليه حقائق الكون .. فالقرآن وإن لم يأت ليعلمنى الطب مثلا .. إلا أنه يأتى فيمس قضية طبية يخبرنى بدقائقها .. ولا يصل إليها علم الطب إلا بعد مئات السنين أو ألوف السنين .. يأتى فى الجغرافيا مثلا ويمس قضية هامة لا نعرفها إلا بعد مئات السنين .. وكذلك فى كل علوم الدنيا..

(١) وآفة: مرض.

(٢) الروم: الآية (٧).



أى أن ما ينتهى إليه من الحقائق . قضايا الكون الأساسية .. الحقائق التى خلق على أساسها الكون يمسها القرآن على أنها حقائق علمية سواء وصلت إليها أنت بالعلم أم لم تصل .. ولنبدأ باستعراض بعض من هذه الحقائق:

والأرض مددناها وهى كرة:

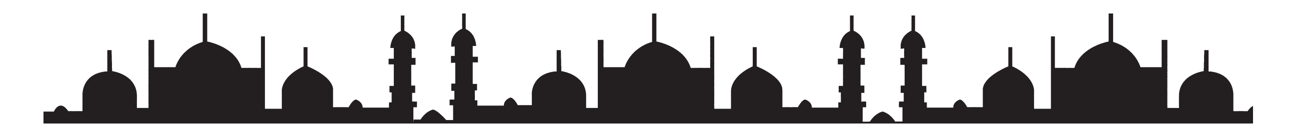
إذن ما دامت الأرض مسطحة .. فلا بد أن يكون لها حيز .. فإذا جئت فى آخر السطح .. لابد أن تصل إلى حافة .. ولكن الله – سبحانه وتعالى – يقول: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا ﴾[1] ومعنى مددناها: أنك أينما ذهبت فوق سطح الكرة الأرضية .. تراها ممدودة أمامك .. أى منبسطة أمامك .. فإذا ذهبت إلى القطب الشمالى رأيت الأرض منبسطة . وإذا ذهبت إلى القطب الجنوبى رأيت الأرض منبسطة .. وإذا ذهبت إلى خط الاستواء وجدت الأرض أمامك منبسطة .. فى أى مكان نذهب إليه نرى الأرض منبسطة .. وهذا لا يمكن أن يحدث إلا إذا كانت الأرض كروية .. إذن فقول الله – سبحانه وتعالى – ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا ﴾ دليل على كروية الأرض .. ولكن إنسانا أخطأ وفسر ذلك اللفظ على أنه دليل على أن الأرض مبسوطة .. وخرج من ذلك بأن هذه حقيقة قرآنية .. وهى ليست حقيقة قرآنية فإذا ثبت أن الأرض كروية بدا تعارض وهمى بين حقيقة كونية وحقيقة قرآنية ..وهنا يبرز دور الجهل فى محاولة النيل من كتاب الله .. ولو تعمق بعض الناس قليلا لعرفوا أن كروية الأرض ودوران الأرض موجودان فى القرآن .. وهذا ما سنعود إليه فى موضع آخر..

بعض الحقائق العلمية التى مسها القرآن الكريم:

الحقيقة الأولى: كروية الأرض .. وأعتقد أنه فى عهد النبى ﷺ لم يكن أحد من البشر يعرف شيئا عن كروية الأرض أو لم يكن ذلك قد وصل إلى علم أحد .. وهنا يأتى القرآن ويقول: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا ﴾، ويلاحظ دقة تعبير القرآن فى ألفاظه.. لقد اختار اللفظ الوحيد المناسب للعصر الذي نزل فيه والعصور القادمة، فكلمة «مددناها» تعطى المعنى للاثنين معًا عندما يقول: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا ﴾[2] أى بسطناها لأن المد هو البسط، ولقد فهم أن هذه حقيقة قرآنية حتى إنه بعد أن خرج الإنسان خارج الغلاف الجوى للأرض ورآها كروية .. فإن هذا الرجل يرفض تصديق العلم .. ويقول: لا ... الأرض مبسوطة .. هكذا قال القرآن .. وكل ما عدا ذلك كفر ، نقول له : إنك أخطأت فى فهم الحقيقة القرآنية .. وإن الدليل الذى أتيت به لا يخدم ما تدعيه .. بل هو ضد ما تدعيه .. فالأرض إن كانت مبسوطة لا تخرج عن أشياء .

(١) الحجر: (١٩).

(٢) ق: (٧).



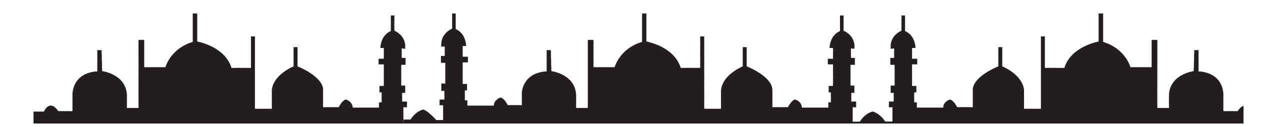
إما مربعة .. وإما مثلثة .. وإما مستطيلة .. وإما متوازية .. وإما شبه منحرف .. وإما شكل مختلف الأضلاع .. وباختصار أترك لك أن تتصور أى وضع للأرض غير وضع الكرة .. أو شكل الكرة.

الحقيقة الثانية: ثم نتأمل قول الله – تعالى – ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾[1] لماذا استخدم الله – سبحانه وتعالى – كلمة «يكور»؟ وكلام القرآن الصادر عن الله دقيق فى تعبيره دقة متناهية .. لماذا استخدم الله لفظ يكور .. ولم يقل يبسط الليل والنهار .. ما دامت الأرض منبسطة .. أو يغير الليل والنهار .. أو أى لفظ آخر .. إنك لو جئت بشىء ولففته حول كرة فتقول إنك كورت هذا القماش مثلا .. أى جعلته يأخذ شكل الكرة الملفوف حولها .. وإذا أردت من إنسان أن يصنع لك شيئا على شكل كرة .. فتقول له خذ هذا وكوره .. أى اصنعه على شكل كرة .. ومعنى قول الله – سبحانه وتعالى– ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾ .. أى يجعلهما يحيطان بالكرة الأرضية .. ومن إعجاز القرآن أن الليل والنهار مكوران حول الكرة الأرضية فى كل وقت .. أى أن الله لم يقل : يكور الليل ثم يكور النهار .. ولكنه قال يكور الليل على النهار واستخدام كلمة (على) هنا تستحق وقفة .. لتتصور مدى انطباقها على كروية الأرض ..﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾ ومعناه أنهما موجودان فى نفس الوقت حول الكرة الأرضية، وهذا ما نبأ به القرآن منذ أربعة عشر قرنا ولم يصل إلى علم البشر إلا فى الفترة الأخيرة..

ثم نتأمل بعد ذلك قوله – سبحانه وتعالى– : ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ ما معنى الآية الكريمة ولا الليل سابق النهار؟

معناه أنه يرد عليهم فى قضية عصرهم ليصححها لهم .. فهم يقولون إن النهار يسبق الليل .. يبدأ اليوم بشروق الشمس وينتهى بغروبها ، ثم يأتى بعد ذلك الليل، أى أن النهار يسبق الليل .. فيأتى الله – سبحانه وتعالى– ويقول: ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ .. ومن هنا فإنه يرد على قولهم بأن النهار يسبق الليل قائلا لا .. لا النهار يسبق الليل ولا الليل يسبق النهار، وهذا إعلان بأن الأرض كروية . وأن الليل والنهار موجودان فى وقت واحد على سطحها .. فلو أن الأرض مبسوطة فإن الأمر لا يخرج على حالتين .. الحالة الأولى .. أن الله قد خلق الشمس مواجهة للأرض المسطحة .. وفى هذه الحالة يكون النهار موجودًا أولًا .. ثم يغيب الله الشمس فيأتى الليل ثانيًا .. أو أنه خلق الشمس غير مواجهة لسطح الأرض.. وفى هذه الحالة يكون الليل موجودًا أولًا .. ثم تطلع الشمس على السطح فيأتى النهار.. لا يخرج الأمر عن هذين الشيئين فعندما يأتى الله ويقول: ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ أى أنه ينفى كلية أن النهار يسبق الليل .. أو أن الليل يسبق النهار حيث إنهما لا يسبق أحدهما الآخر .. منذ متى؟ منذ بداية خلق الأرض .. أو منذ خلق الله الأرض .. ولا يتأتى هذا فى عالم الأحجام أبدًا إلا إذا

(١) الزمر: (٥).



كانت الأرض مكورة .. فحين خلق الله الشمس والأرض أوجد الليل والنهار معًا .. فنصف الأرض المواجهة للشمس صار نهارًا .. والنصف الآخر صار ليلًا . ثم دارت الأرض .. فأصبح الليل نهارًا .. والنهار ليلًا وهكذا . إذًا فالآية الكريمة ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾[1] تعطينى أن الأرض مخلوقة على هذه الصورة الكروية.

الحقيقة الثالثة: دوران الأرض: نأتى بعد ذلك إلى قضية أخرى .. وهى دوران الأرض هل يستطيع أحد أن يحكم على مكان هو جالس فيه .. والمكان كله يتحرك بما هو فيه؟إنك لا تستطيع أن تدرك أنه متحرك .. لماذا؟ لأنك لا تعرف حركة المتحرك إلا إذا قسته مع شىء ثابت ولا شىء ثابت لأن الأرض كلها تدور .. والمواقع فوق سطحها ثابتة .. لأننا مثلًا عندما نجلس فى حجرة مغلقة تمامًا وهى تدور بنا جميعًا .. وموقعنا عليها ثابت لا يتغير .. لا نحس بدوران هذه الحجرة إلا إذا فتحنا نافذة مثلًا .. ونقيس حركة الحجرة على شىء ثابت كعمود مثلًا أو شجرة [2] .. ومن هنا لا نستطيع أن نعرف حركة المتحرك إلا إذا قسناه إلى شىء ثابت ومن يستطيع أن يقيس الأرض كلها إلى شىء ثابت ليعرف حركتها..؟ لا أحد يستطيع .. ما دمت أنا لا أدرك الحركة..

الحقيقة الرابعة: إن حركة الجبال ليست ذاتية بل تتبع حركة الأرض: يأتى الله – سبحانه وتعالى– ليقول لى: ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾[3] تحسبها معناه كان ذلك حسبانًا وليس حقيقة .. لأن هذه الجبال التى تراها أمامك جامدة ثابتة لا تتحرك.. هى ليست كذلك .. فإن الله يريد أن يقول لنا إن هذه الجبال الراسخة أوتاد الأرض التى تبدو أمامك جامدة ثابتة صلبة لا تستطيع أن تفتتها أنت ولا تزيلها .. هذه الجبال الرهيبة تمر أمامك مر السحاب وأنت لا تدرى .. ثم عندما تعجب وتقول وأنت تسمع هذه الآية كيف تمر هذه الجبال مر السحاب وهى ثابتة أمامى هكذا لا تتحرك من مكانها؟ .. يقول لك الله – سبحانه وتعالى – لا تتعجب .. صنع الله الذى أتقن كل شىء، فإن قال قائل إن هذا يحدث فى الآخرة .. فإننا نقول له إن الأرض لن تكون نفس الأرض .. وإن الجبال ستمور.. مصداقًا لقوله – تعالى – : ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ﴾[4] إلى آخر الآية الكريمة .. ثم هل يكون فى الآخرة حسبان[5].؟ أبدًا الآخرة نرى فيها الحقائق، نرى فيها كل شىء عين اليقين .. ونعرف كل شىء على حقيقته .. الجنة والنار والثواب والحساب وكل شىء .. إذن فقول الله – سبحانه وتعالى

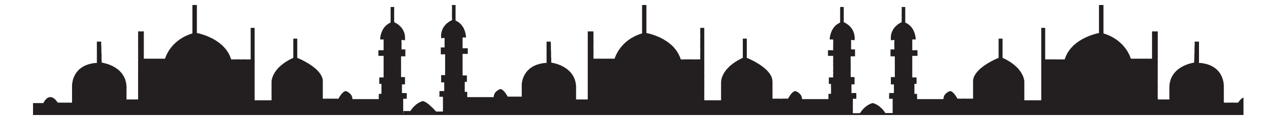
(١) يس : (٤٠).

(٢) مثل راكب القطار وراكب المصعد بابه من زجاج شفاف.

(٣) النمل (٨٨) .

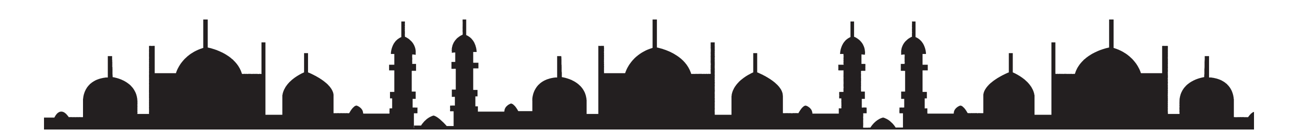
(٤) إبراهيم : (٤٨).

(٥) ظن ووهم.



- : ﴿تَحۡسَبُهَا جَامِدَةً﴾ .. معناه . إنك وأنت أمام هذه الجبال واهم.. لأنك تظن أنها جامدة وهى تمر مر السحاب. ثم يأتى بعد ذلك استخدام الله – سبحانه وتعالى – كلمة مر السحاب. وكما قلت إن اختيار الألفاظ فى القرآن دقيق جدًّا.

مر السحاب: لماذا لم يقل الله – سبحانه وتعالى – مثلًا مر الرياح . أو مر العواصف .. أو مر الأمواج .. أو أى لفظ آخر .. لأن السحاب لا يتحرك بنفسه .. بل تدفعه قوة ذاتية هى قوة الريح فحين يتحرك السحاب من مكان إلى مكان آخر .. لا ينطلق بذاته ويمضى .. بل تأتى الرياح وتحمله من المكان الذى هو فيه إلى مكان آخر، وهكذا .. فكأن الله – سبحانه وتعالى – يريد أن يقول لنا انتبهوا .. إن حركة الجبال ليست حركة ذاتية كحركة الأرض وليست حركة ذاتية كحركة الرياح؛ فهى لا تتحرك بذاتها .. أى لا تنتقل من مكانها على الأرض إلى مكان آخر على سطح الأرض، لا .. إن مكانها ثابت ولكنها تمر أمامكم مر السحاب .. أى تتحرك بحركة الأرض تمامًا كما تحرك الرياح السحاب .. وإلا فلماذا لم يقل الله .. وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تسير .. أو وهى تجرى .. أو وهى تتحرك .. أو وهى تمر من مكان إلى آخر أبدًا؟ استبعد كل الألفاظ التى تعطى الجبال ذاتية الحركة .. أى أن الذى يتحرك ذاتيًّا هى الأرض .. والجبال تتبع هذه الحركة وهى تمر أمامك مر السحاب الذى لا يملك ذاتية الحركة .. أترى دقة التعبير .. ودقة التصوير لدوران الأرض فى القرآن؟ هل كان من الممكن أن يقول محمد هذا الكلام .. أو يصل إلى هذا العلم؟ ألا يعتبر هذا إعجازًا حين يقول العلماء إن الأرض تدور حول نفسها فنقول لهم : هذه الحقيقة مسها القرآن؟ بل وأعطى تفصيلًا فيها .. إن كل شىء على الأرض يتبع الأرض فى حركتها الذاتية بما فى ذلك الجبال الشاهقة الضخمة .. ذلك فى الدنيا طبعًا .. لأن الله فى الآخرة ينسف الجبال نسفًا.. ولا يكون هناك حسبان .. ولكن يكون هناك يقين .. فكون القرآن يخترق حجاب المستقبل .. وبعد ذلك يمس قضايا كونية بما يثبت نشاط الذهن بعد أربعة عشر قرنًا .. فهذا يدل على أن القرآن اخترق حجاب المستقبل للبشرية كلها .. ولكن بعض الناس يجادل فى خلق الإنسان وهى محاولة للإضلال .. وإنكار آيات الله فى الكون .. وهذا أيضًا من إعجاز القرآن .. وجود هؤلاء المضلين فى الدنيا ومحاولتهم الإضلال .. ومحاربة دين الله .. هو إعجاز قرآنى لأن الله – سبحانه وتعالى – أخبرنا عنهم قبل أن يوجدوا، ولقد شرحت ذلك بالتفصيل فى الفصل الثانى.



مناقشة الفصل الثالث

١- قال - تعالى - : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ﴾

ضع علامة (✓) أمام الإجابة الأكثر دقة مما بين الأقواس:

(أ) تحدى القرآن بهذه الآية: (العرب وقت نزوله).

(البشرية كلها وقت نزوله).

(البشرية كلها حتى قيام الساعة).

(ب) اختار الله - سبحانه وتعالى - الذبابة لأنها:

(أضعف المخلوقات).

(أعقد المخلوقات).

٢- قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ﴾

تحسبها: (تتخيلها - تظنها - توقن بها).

تمر : (تتحرك - تجرى - تسير).

اختر الإجابة الدقيقة لما تقدم وعلل لما تختاره.

٣- ما المراحل التى يمر بها العلم؟ وبم عرَّف المؤلف العلم؟

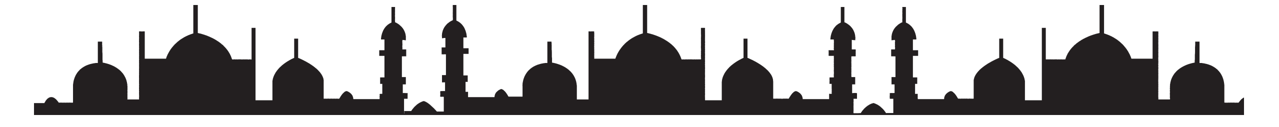
٤- ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا﴾ ، ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾ كيف تستدل بالآيتين الكريمتين على كروية الأرض؟

٥- سألك أحد المعاندين : العلماء الآن يعرفون نوع الجنين فى بطن، أمه فأين الإعجاز فى قوله - تعالى - ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ﴾؟ وبماذا ترد عليهم؟

٦- استعن بالإنترنت فى التوصل إلى:

مراحل نمو الجنين فى بطن أمه كما ورد فى القرآن الكريم.

عدد المرات التى جاء فيها ذكر السحاب فى القرآن الكريم.



الفصل الرابع

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾

مقدمة:

شهر رمضان هو شهر القرآن .. وهو شهر الرحمة والمغفرة والتوبة .. وهو الشهر الذى نزلت فيه الرسالة على محمد ﷺ وهى رحمة للعالمين .. مصداقًا لقوله – سبحانه وتعالى – : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1] وهذا الموضوع عن تفسير معنى هذه الآية الكريمة.

يلاحظ أن موكب الرسل حين يبعثها الله –سبحانه وتعالى– لعباده .. أن كل رسول يأتى برحمة .. كيف ذلك؟

قد يأتى الرسول إلى بيئة محتاجة لتذكير بمنهج الله .. ولا يأتى رسول إلى قوم آخرين يعيشون فى نفس الزمن .. ولكن فى بقعة أخرى ويتبعون منهج الله اتباعًا سليمًا.

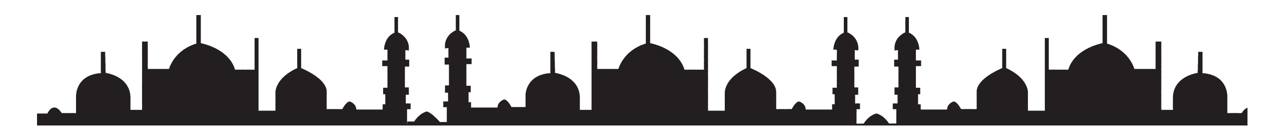
إذن فالديانات كلها .. إنما تهدف إلى بقاء المنهج الإلهى الذى صاحب الإنسان الأول .. حتى ينظم حركته فى الأرض .. وتأتى الرسل تذكر من نسى أو انحرف .. أو خالف هذا المنهج من ذرية آدم .. وذلك نظرًا لأن المنهج يتطلب سلوكًا يتعارض مع شهوات النفس الجامحة، ورغباتها الطائشة ، وتحدث الغفلة والنسيان والانحراف الذى قال فيه الله – سبحانه وتعالى – ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم ﴾[2] أى انتهت صلتهم بالله بغفلتهم الكاملة عن أحكام الدين.

إذن مواكب الرسل كلها جاءت لكى تذكر بالعهد الأول الذى أعطى لآدم والذى عبر الله – سبحانه وتعالى – عنه بقوله: ﴿ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى ﴾[3] لكن الغفلة تطرأ على القلب .. ومن رحمة الله أن يرسل رسولًا يذكر الناس بالمنهج..

(١) الأنبياء : (١٠٧).

(٢) المطففين: (١٤).

(٣) البقرة: (٣٨).



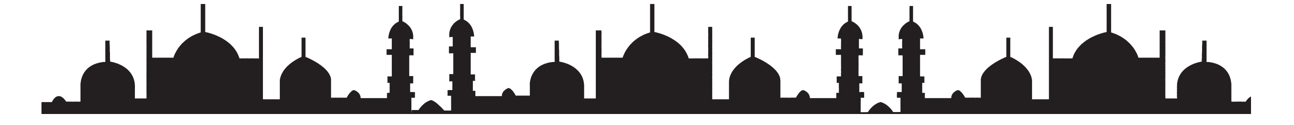
لكل زمان وكل مكان

وسيدنا محمد ﷺ .. جاء على فترة من الرسل .. نلاحظ أن رسالته ﷺ لم تكن لقوم معينين.. ولا لجنس بشرى معين خلافًا للرسـل السابقين .. فيقول الله – سبحانه وتعالى – لنبيه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾[1] ثم يقول الله ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ .. رسالة النبى ﷺ أخذت هنا عمومية .. عمومية المكان .. ثم يقول الله – سبحانه وتعالى – : ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ .. إذن أخذت الرسالة هنا عمومية الزمان أيضًا .. أخذت عمومية للزمان وللمكان ..ولذلك يجب أن يأتى التشريع صالحاً لكل زمان .. وكل مكان ..ولكن لماذا جاءت الرسالة .. رسالة النبى ﷺ . لها عمومية المكان وعمومية الزمان؟ هذا أيضا من إعجاز القرآن .. ذلك أن الله – سبحانه وتعالى – فى علمه أن آفات[2] البشرية كلها ستصبح آفات واحدة.. ذلك أن العالم كلما تقدم وازداد اتصاله .. توحدت الآفات التى يشكو منها .. فقبل رسالة محمد ﷺ كان هناك انعزال فى الدنيا .. لا توجد اتصالات بين المجتمعات البشرية ، وكان كل مجتمع بشرى يعيش وينتهى دون أن يدرى عنه أى مجتمع بشرى آخر فى مكان بعيد عنه .. ذلك أن الاتصالات بين المجتمعات البشرية المختلفة .. كانت شبه معدومة لبعد المسافة وضعف وسائل المواصلات أو انعدامها .. وعدم تقدم العلم الذى يُمكِّن البشر من اتصال بعضهم ببعض فى أوقات قصيرة .. ومن هنا كان لكل مجتمع آفاته الخاصة وأمراضه .. وانحرافاته .. وغفلته عن الدين .. وكانت الرسل تأتى إلى هذه المجتمعات؛ لتذكر بمنهج الله ولكنها كانت ترسل إلى مجتمع بعينه كعاد وثمود وآل لوط وغيرهم.. بل كما قلت فى أحيان .. كان يرسل الله – سبحانه وتعالى– أكثر من رسول فى نفس الوقت .. هذا ليعالج آفات مجتمع .. وهذا ليعالج مجتمعًا آخر .. كما حدث مع لوط وإبراهيم مثلًا .. كان هناك انعزال . وكان هذا الانعزال يجعل الداءات[3] مختلفة .. ويتم إرسال الرسل إلى كل مجتمع لتذكير أهله .. ولكن الآن وبعد أن التقى العالم وارتقى .. توحدت الداءات .. أو أصبحت كلها حول دائرة واحدة .. يحدث شىء فى أمريكا فيصبح عندك بعد ساعة واحدة .. تكاد تكون هناك وحدة الآفات فى العالم كله .. آفة البشرية واحدة فى البلاد المتقدمة .. وفى البلاد غير المتقدمة .. لأنه حدث التقاء بشرى .. وعندما يحدث الحادث يعرفه العالم كله بعد دقائق .. ما دامت

(١) الأنبياء: (١٠٧).

(٢) آفات : أمراض ومفردها آفة.

(٣) الداءات: الأمراض ومفردها: داء.



الآفات قد توحدت نتيجة للاتصال البشرى الكبير الذى تم .. فلا بد من وحدة المعالجة .. وهكذا أنبأنا الله – سبحانه وتعالى– فى القرآن الكريم منذ وقت نزوله .. أن العالم سيتقدم ليصبح وحدة واحدة .. وأن الآفات فى العالم تكاد تتوحد نتيجة الاتصال السريع بين أجزائه .. ولذلك لا بد من وحدة المعالجة . فأرسل هذا الدين رحمة للعالمين .. وهذا معنى كلمة (رحمة للعالمين) .. أى للعالم كله الذى ستتوحد داءاته وآفاته .. ولابد أن يكون المعالج واحدًا يشمل الجميع ، فبعث رسول الله ﷺ خاتمًا للمرسلين فكان رحمة للعالمين فى كل زمن حتى تقوم الساعة.

معنى الشفاء ومعنى الرحمة

يقول الله – تعالى – : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] ومعنى الآية الكريمة .. أنه لا توجد قضية فى العالم تمس حياة البشرية إلا وموجود فى منهج الله ما يعالج هذه القضية .. نحن نقول تعالج .. لأن التشريعات عندما تأتى تعالج واقعًا موجودًا فى المجتمع .. وفسادًا انتشر .. ولذلك فهى تعالجه لتشفى الناس منه .. وبعد ذلك عندما نتبع تعاليم الله .. لا يأتى لنا الفساد أصلًا ولا الآفات .. ولا أمراض المجتمع .. وفى هذه الحالة يكون هذا الدين وقاية لنا من آفات المجتمع وانحرافاته فهو شفاء؛ لأنه سيعالج الانحرافات والفساد الموجود فى المجتمع . ورحمة؛ لأنه يمنع أن تأتى هذه الانحرافات إلى المجتمع .. وذلك عين الرحمة ، وعندما نغفل عن هذه المبادئ القرآنية .. يوجد لهذه الغفلة آثار ضارة فى المجتمع .. نبدأ فى التفكير فى العلاج .. فنكتشف أننا تركنا مبدأ كذا ومبدأ كذا .. مما أمر به الله .. فيبدأ العلاج بمنهج الله .. إذن فقول الله : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [2] معناه أنك جئت بمنهج من عندنا تبلغه للناس .. لو أنهم اتبعوا هذا المنهج .. لعمتهم الرحمة بحيث لا يوجد شقاء إنسانى فى المجتمع ولا فساد ...

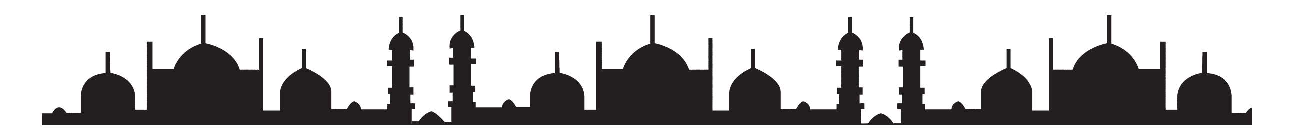
الدين صلاح للدنيا والآخرة:

الدين ليس موضوعه الآخرة فقط . بل هو ينظم حركة الإنسان فى الدنيا .. ينظم حركة حياته .. أما الآخرة ففيها الجزاء .. الجزاء على اتباعك المنهج .. أو ما أمر به الله .. أو عدم اتباعك له .. تطبيق الدين .. وتعاليم الدين .. مقصود به أولئك الموجودون فى الدنيا .. مصداقًا لقوله – سبحانه وتعالى–

---

(١) الإسراء: (٨٢).

(٢) الأنبياء : (١٠٧).



﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا ﴾[1] والجزاء على الشىء ليس هو عين موضوعه .. لذلك فإن الدين لا يقتصر على الغيبيات فقط ، فالغيبيات يصدقها من آمن بالله .. لأنها جاءت عن الله ، أما غير المؤمن فليس له إلا واقع الحياة ولابد أن يبين لنا واقع الحياة أن هذا المنهج الذى جاء من عند الله .. لو اتبع كما يريده الله فسيختفى الشقاء من المجتمع .. ولذلك نجد القرآن يفسر ذلك تفسيرًا دقيقًا..

﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾[2] .. هذا فى الدنيا .. ثم قال – تعالى – ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾[3] قول الله معيشة ضنكًا. يدل على أن تعاليم الله نزلت لتحمى الإنسان من ضنك وشقاء المعيشة فى الدنيا..

والشقاء البشرى ليس اقتصاديًّا فحسب لأنه، لا يتعلق بالمال وحده .. وإنما معنى ضنك المعيشة هو الضيق فى المعيشة .. وهذا له أسباب متعددة .. فقد يملك الإنسان أموالًا طائلة .. ومع ذلك يضيق بحياته .. ذلك أن جوانب النفس البشرية جوانب شتى[4] قد يُشبع المال جانبًا منها.. وتبقى الجوانب الأخرى فى ضيق وشقاء.. ولذلك نجد أن إنسانًا يملك أموالًا طائلة..قد يرغمه ظرف من ظروفه أن ينتحر.. لماذا؟.. لقد ضربت مثلًا لذلك بالسويد.. وهى أعلى دول العالم فى نصيب الفرد من ترف الحياة.. ومع ذلك فإن الإحصاءات تقول إنها من أعلى دول العالم فى الانتحار والأمراض العصبية والنفسية.. المسألة ليست مسألة مادية فقط.. وشقاء الحياة لا يجوز أن يؤخذ على أنه فقط جانب المال.. بل هناك جوانب أخرى تسبب لصاحبها شقاء إنسانيًّا أكثر من قلة المال.

إذا خالفنا انكشفت العورة[5]

نكون الآن قد وصلنا إلى أن رسول الله ﷺ جاء عامًّا لجميع الأزمان والأمكنة بمبادئ هى الرحمة.. لو اتُّبعت لنجونا من الشقاء فى الدنيا، وأخذنا الجزاء فى الآخرة.. وهذه هى الرحمة.

كل هذا يفسر لنا ما حدث لآدم.. وهو أن الله – سبحانه وتعالى – منعه وزوجه حواء أن يقربا الشجرة، فلما ذاقا الشجرة.. بدت[6] لهما سوءاتهما.. يعنى العورة بدت عند المخالفة.. فأى عورة فى مجتمع من المجتمعات.. إذا بحثت عن أسبابها وجدت أنها حدثت بسبب مبدأ من مبادئ الله عُطِّل فى الأرض.. ولو

(١) يس: (٧٠).

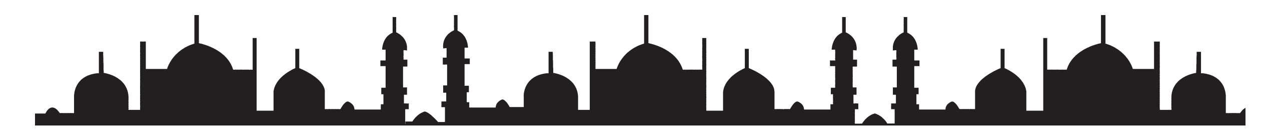
(٢) طه : (١٢٣، ١٢٤) . معيشة ضنكًا: ضيقة شديدة بسبب الفقر أو المرض النفسى أو المرض الجسمى.

(٣) طه: (١٢٤).

(٤) شتى : متفرقة.

(٥) معنى العبارة أن مخالفة البشر لمنهج الشرع تؤدى إلى إعلان حرب على المخالفين.

(٦) بدت: ظهرت.



لم يحصل ذلك لما وجد الجمال فى الكون.. إذا كان المستقيم وغير المستقيم أمرهما سواء فى الحياة.. لا يكون هذا جمالاً.. ولو أن الطالب المجتهد والطالب الذى لا يذاكر نجحا لا يكون هذا جمالاً فى الحياة.. بل إنه يكون جمالاً يورث قبحًا.. لأنه قد تساوى من اجتهد ومن لم يجتهد.. وبذلك لن يجتهد أحد.. فلو لم يوجد الشقاء والفساد فى البيئات التى تبتعد عن منهج الله.. لما كان ذلك جمالاً ولا شهادة للدين.. إن الشهادة للدين أن الجماعة التى تبتعد عن منهج الله يحدث لها شقاء وداءات وفساد وانحرافات.. وبذلك يدلل الله - سبحانه وتعالى - فى الحياة الدنيا.. ومن واقع تجربتها على صدق منهجه وتعاليمه..

ومثال ذلك هزيمة المسلمين فى غزوة أحد عندما خالفوا أمر رسول الله ﷺ.

فتح التوبة أمام البشر

إلا أن هناك معنى أوسع أود أن أضيفه.. ذلك أن السماء[1] قبل الرسالة المحمدية.. كانت لا تطلب من الرسل إلا مجرد البلاغ.. وهى التى تتولى التأديب.. تأديب المخالفين.. وقد ذكر الله - سبحانه وتعالى - هذا فى القرآن.. قال - تعالى -: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾[2] فالسماء هى التى كانت تؤدب العاصين.. والرسل كان عليهم البلاغ.. لكن فى عهد الرسول ﷺ مَنَّ الله على المسلمين بأن يمهل المخالف منهم.. فالذى يعصى تعاليم الله.. فإن له معيشة ضنكًا فى الدنيا غير عذاب الآخرة.. ولذلك كانت رسالة محمد ﷺ رحمة للعالمين.. للكافر والمؤمن منهم.. ذلك أن السماء لم تعجِّل بعذابهم فى الدنيا.. كما كان يعجل بالمخالفين للرسل فى الأمم السابقة.. تركت لهم فرصة التوبة.. ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾[3] فكأن الله - سبحانه وتعالى - قد أرسل نبيه رحمة للعالم كله دون تمييز بين مؤمن وغير مؤمن رحمةً من عذاب السماء فى الدنيا.. وليفتح أمامهم أبواب التوبة عن المعاصى فيغفر لهم فى الآخرة وهذا هو معنى الآية الكريمة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[4] ولو لم يفتح الله باب التوبة للعاصين لاستمروا فى طغيانهم وإفسادهم للمجتمع، فكانت التوبة رحمة بالعاصين ورحمة بالمجتمع لنجاته من شرورهم وجبروتهم.

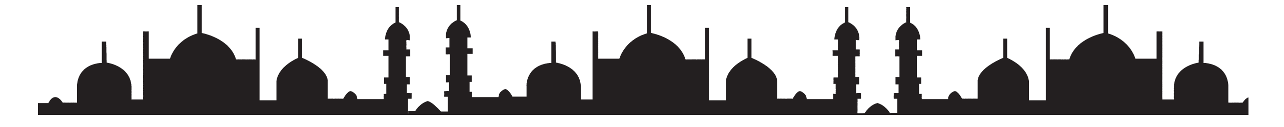
---

(١) السماء: المقصود الله الذى ينزل رسالته من السماء.

(٢) العنكبوت: ٤٠.

(٣) الأنفال: ٣٣.

(٤) الأنبياء: ١٠٧.



مناقشة الفصل الرابع

١- اختبر معلوماتك بوضع اسم مَن أُرسل إليهم كل رسول من الرسل الآتية أمامه:

(ا) هود عليه السلام. ( )

(ب) صالح عليه السلام. ( )

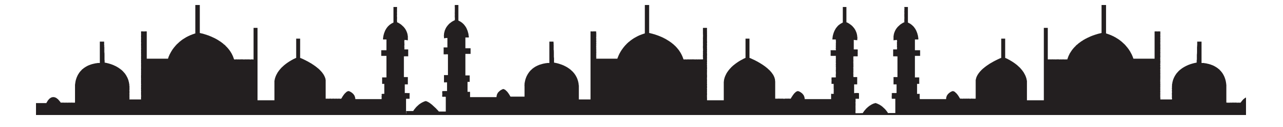
(جـ) موسى عليه السلام. ( )

(د) محمد ﷺ . ( )

٢- ما مصدر الشقاء البشرى كما يقرر القرآن الكريم؟ وما معنى «معيشة ضنكًا»؟

٣- تخير من (ب) ما يتمم معنى (ا):

(ا)	(ب)
١- القرآن الكريم علاج لأنه	١- دليل على عمومية رسالة محمد ﷺ.
٢- القرآن الكريم رحمة لأنه	٢- يعالج الآفات فى العالم كله.
٣- القرآن الكريم منهج عالمى لأنه	٣- يحمل الخير والسعادة لكل زمان ومكان.
٤- التقدم الإنسانى فى وسائل الاتصال	٤- يمنع الانحرافات من المجتمع.
	٥- يؤكد المبادئ السليمة وينشرها.



الفصل الخامس

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾

مقدمة:

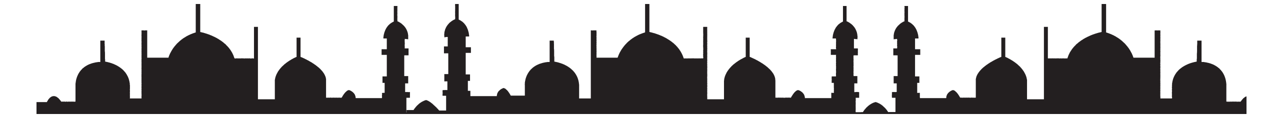
(ليلة القدر هى الليلة التى نزل فيها القرآن.. والقرآن أزلى لأنه صفة من صفات الله - سبحانه وتعالى - ولذلك فإن القرآن نزل فى هذه الليلة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ليباشر مهمته بافعل ولا تفعل).

ولو أخذنا اختلاف السنة القمرية عن السنة الشمسية لوجدنا أن ليلة القدر جاءت فى كل يوم من أيام السنة.. فرمضان يأتى فى الربيع والخريف والصيف والشتاء.. أى أنه يدور فى العام كله.. فى كل فصل من فصوله.. ما من شهر من شهور السنة الشمسية إلا وشهد رمضان أو جزءًا من رمضان.. ومع طول الزمن نجد أن ليلة القدر هى الأخرى قد مرت فى العام كله.. فى كل يوم من أيامه..

السر فى كونها بالليل

واختيار الليل هنا لأنه الوقت الذى تكون فيه العبادة لله وحده.. فيه صفاء وهدوء.. وفيه صدق التعبير.. فالذى يرائى بعبادة الله لا يمكن أن يقوم الليل.. والذى يريد أن يقال عنه إنه رجل صالح.. رياء أو نفاقًا لا يمكن أن يقوم الليل.. ولكن الذى يقوم الليل هو الخاشع لله - سبحانه وتعالى - المؤمن به.. وعندما يختار الله وقتًا من الأوقات.. أو مكانًا من الأمكنة أو شخصًا من الأشخاص لينعم عليه بما شاء..ويصطفيه لرسالته أو لإبلاغ خلقه منهجه.. فهذا الاختيار هو خير للبشرية كلها..فاختيار مكة مثلا مكانًا لبيت الله الحرام هو تكريم لمكة وفى نفس الوقت تكريم للعالم كله..فالناس من جميع أنحاء العالم تذهب هناك لتحج وتؤدى المناسك وتتوب إلى الله وتستغفره وتعود إلى بلادها مغفورة الذنب.. إذن فالخير هنا لم يقتصر على مكة وحدها.. بل امتد ليشمل رحمة الله للعالم أجمع.

ورسول الله ﷺ أرسل رحمة للعالمين وكلنا ندعو له بالرفعة والمقام المحمود.. فنحن ندعو لأنفسنا.. لأنه بالمقام المحمود الذى سيكون فيه يوم القيامة.. سيشفع لنا جميعًا.. فيصيبنا الخير والرحمة على يديه.



كيف يتحقق أمن البشرية؟

كذلك اختيار ليلة القدر..هى لتعم الدنيا كلها بفضل من الله ورحمة..فالنفس البشرية لكى تعيش آمنة فى الحياة الدنيا يجب أن تتخلص من عدة أشياء.. أولها الخوف.. والخوف يكون من شىء معلوم.. ثم الهم والحزن الذى يدخل القلب، وهذا قد يأتى من شىء مجهول غير معلوم لك.. ثم المكر أن يمكر بك غيرك.. وليلة القدر سلام وأمن.. لأنها تذكر بالقرآن الذى لو اتبعناه لأذهب عنا الخوف والهم والحزن.

العمل بالقرآن يورث الأمان:

كان الإمام جعفر الصادق يقول: عجبت لمن خاف كيف لا يفزع إلى قول الله - سبحانه وتعالى-: ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ فإن الله يعقبها بقوله: ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾[(١)] وعجبت لمن اغتم كيف لا يفزع إلى قول الله - تعالى- : ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فالله يعقبها بقوله:﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[(٢)] وعجبت لمن يمكر به كيف لا يفزع إلى قول الله - تعالى - : ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾ فإن الله يعقبها بقوله:﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ ﴾[(٣)] وعجبت لمن طلب الدنيا وزينتها كيف لا يفزع إلى قول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ ﴾ فإنى سمعت الله يعقبها بقوله:﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ ﴾[(٤)].

كل شىء فى هذا الكون لكى يحدث.. لا بد أن يكون هناك فاعل ليقوم به.. ولا بد أن يكون هناك مفعول به.. وقد يوجد الفاعل والمفعول.. ولكن السبب الذى من أجله ينشأ الفعل ينعدم.. إذن الفعل لابد له من وجود هذه العناصر الثلاثة.. الفاعل والمفعول به والسبب.. لذلك أدبنا الله - سبحانه وتعالى - فى الأحداث.. وأمرنا ألا نقول لشىء نريد أن نفعله غدًا.. إلا أن يشاء الله..﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ ﴾[(٥)] لابد أن تقول إلا أن يشاء الله.. لماذا؟ لأنك لا تملك عنصرًا واحدًا من عناصر الفعل.. لا تملك وجود الفاعل الذى هو نفسك غدًا.. أو بعد ساعات ولا تملك وجود المفعول غدًا.. ولا تملك بقاء الزمان غدًا.. ولا تملك بقاء المكان غدًا.. فقولك

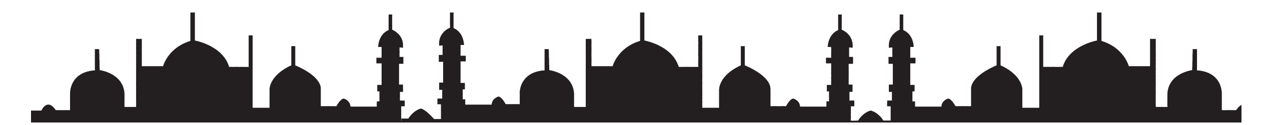
(١) آل عمران: ١٧٣ - ١٧٤.

(٢) الأنبياء: ٨٧ - ٨٨.

(٣) غافر: ٤٤ - ٤٥.

(٤) الكهف: ٣٩ - ٤٠.

(٥) الكهف: ٢٣ - ٢٤.



إنى فاعل ذلك غدًا.. مجاز.. ولذلك يجب أن تردها إلى من يملك وجود هذه الأشياء وتقول إلا أن يشاء الله.. وفى هذه الحالة تكون قد خرجت من الكذب إلى الصدق.. ومن المجاز إلى الحقيقة.

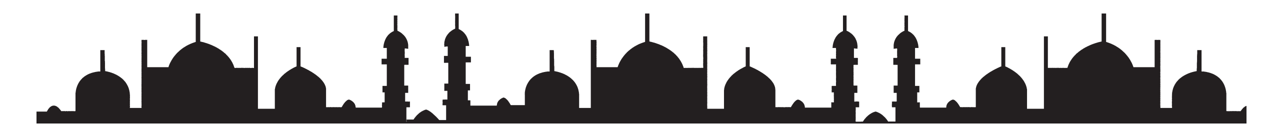
المقصود بأنزلناه فى ليلة القدر أبرزناه إلى الأرض:

وما دامت الأحداث لها العناصر.. فحين نريد حدثًا مثل نزول القرآن فإن ذلك يقتضى مُنزلًا.. ويقتضى مُنزَلًا عليه.. ويقتضى سببًا للإنزال.. ويقتضى مكانًا للإنزال وزمانًا للإنزال.. فليلة القدر تعرضت لزمان الإنزال.. لكن القرآن إذا نظرنا إليه وجدناه نزل فى ليلة القدر وفى غير ليلة القدر.. لأنه نزل منجّمًا حسب الحوادث.. ونزل ليلًا.. ونزل نهارًا.. ونزل فى كل وقت من الأوقات.. ولكن الإنزال فى ليلة القدر.. معناه إرادة الحق أن يبرز القرآن من كنزه الذى كان مكنونًا فى اللوح المحفوظ إلى الأرض ليباشر مهمته فى الوجود.. من عالم الغيب.. إلى عالم الشهادة.. وتنزيل القرآن منسوب إلى الله – سبحانه وتعالى – ومصداقًا لقوله: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾[1].

ولكنه يأتى أيضًا منسوبًا إلى جبريل.. نزل به الروح الأمين.. أى الذى نزل به..الروح الأمين.. ولكن الذى أنزله هو الله – سبحانه وتعالى –.. إن مادة أنزل لم تسند إلا لله – سبحانه تعالى –.. فقول الله ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾[2] أى أخرجناه من اللوح المحفوظ من عالم الغيب الذى كان مستورًا فيه ليباشر مهمته فى الوجود.. وما دام قد أنزله فى ليلة القدر.. والإنزال للقرآن.. يكون الإنزال ليس للبلاغ وحده ولكن لكى يبتدئ القرآن مباشرة مهمته.. وبذلك يكون ما قالوه من أنه نزل من اللوح المحفوظ إلى الدنيا ليباشر مهمته فى الوجود.

(١) الإسراء: ١٠٥.

(٢) القدر: ١.



معنى الزمان ليس قائمًا بذاته

يلاحظ هنا أن الضمير فى قول الله ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ﴾ ضمير جمع.. وفى المنزل هاء الغيبة.. وإذا قرأت القرآن وجدت أن الحق – سبحانه وتعالى – فى كل فعل يفعله يأتى بضمير الغيبة الجمع.. لأن الفعل يتطلب تكاتف صفات متعددة لله – سبحانه وتعالى –.. الحكمة والرحمة والقوة والعلم إلى آخره.. لكن الحق إذا تكلم عن الذات.. يتكلم بالإفراد.. فلم يقل – سبحانه وتعالى – نحن الله.. بل قال إننى أنا الله.. وفى هذه الحالة فهو يتكلم عن وحدانيته ولا شريك له.. ولكن عندما يتكلم عن حدث يتطلب عدة صفات مجتمعة.. فإنه يستخدم صيغة الجمع ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ﴾.

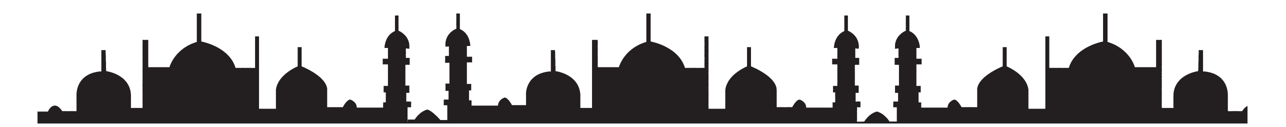
نعود إلى ليلة القدر.. ما دام القرآن قد نزل فيها والقرآن يحمل هدى الله للبشر جميعًا.. فيجب أن تكون محل حفاوة بما أنزل فيها.. والإنسان حين يحتفى بزمان.. يحتفى بما حدث فى هذا الزمان.. فالزمان ليس ملحوظًا.. ولكن ما حدث فى الزمان هو الملحوظ.. حين يحيى الإنسان ليلة القدر.. فهو لا يحييها إلا لأن الله كرمها.. لأنها كانت ميلادًا للقرآن.. فتكريمها تكريم للحدث الذى وقع فيها وهو القرآن.. ولا يكرم الإنسان حدثًا وقع فى زمن إلا لأنه فرح بآثار هذا الحدث نفسه. فقول الله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ معناه إبراز القرآن من اللوح المحفوظ.. الذى كان مستورًا فيه إلى الوجود ليباشر مهمته.

وليحتفى به المسلمون أيما احتفاء، فيأتمرون بأمره، وينتهون بنهيه.

ليلة القدر أخذت القدر من جهتين.. التقدير والقدر.. ثم يضخم الله الليلة.. ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾[1] وما أدراك.. أدرى هنا فعل ماض.. ومعناها ما أحد أخبرك بليلة القدر.. وما دام الله قد نفى أن يكون أحد قد أدرى نبيه بليلة القدر.. فكأنه لا يعرف قدرها إلا الله – سبحانه وتعالى – فإذا أردت أن تعرف قدرها فاسمع من الله.

---

(١) القدر: ٢.



الفرق بين ما أدراك وما يدريك فى القرآن

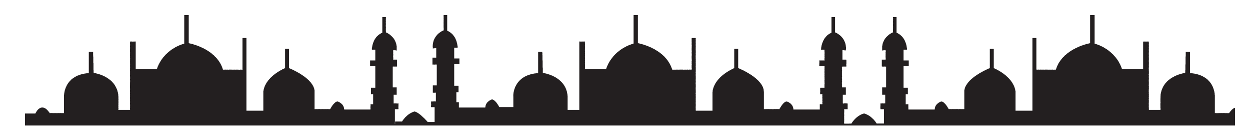
القرآن حين يتكلم فى أدراك أو يدريك.. لابد أن نلاحظ شيئًا.. ما أدراك معناها أنه لم يوجد أحد قد أدراك قبل الآن.. ويدريك معناها أن أحدًا لم يدرك فى الماضى.. وأن أحدًا لن يدريك فى المستقبل.. إذن ما يدريك لا يمكن أن يدرك أو يعرف بعد ذلك.. إنما ما أدراك فى الزمن الماضى.. معناها أن أحدًا لم يخبرك بشىء عنها حتى الآن ولكن الله سيدريك الآن.. وهنا أدركه الله وقال: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾[1] فإذا قرأت فى القرآن ما أدراك فاعلم أن الله سيدريك.. وإذا قرأت ما يدريك فاعلم أن ذلك من مكنونات الغيب وأن الله لن يدريك بها.. ولا تقال هذه الكلمة وما أدراك ما ليلة القدر.. إلا إذا كان القدر عظيمًا لا يمكن أن يستوعبه أحد باجتهاده أو بعلمه.. إلا الله وهذا تفخيم لليلة القدر.. فكان الخير فيها أكثر من أن يدركه البشر.. وإنما يدركه من اختارها لإنزال خير ما أنزل..

ثم يقول الله – سبحانه وتعالى –: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ هنا تفضيل الليلة على ألف شهر لابد أن نقف أمامه.. فمادامت ألف شهر والسنة اثنا عشر شهرًا.. كأن الألف شهر فيها ثمانون عامًا.. أى ثمانون ليلة قدر.. إذن هى خير من ألف شهر.

ألف شهر.. لماذا؟

ولماذا اختيرت الألف بالذات..لأن الله – سبحانه وتعالى – كان يخاطب العرب بعقولهم.. وقد كان العرب يعتقدون أن الألف هى نهاية الأرقام.. ولذلك إذا زادوا عليها كرروا كذا ألفًا.. فلم يكونوا مثلًا يعرفون المليون أو البليون.. إذن الألف قمة العدد.. فكأن الله أراد أن يقول إن ليلة القدر خير من ألف شهر أى أنها خير من أضخم شىء يعرفون به مقاييس الأعداد.. وإذن معناها أن ليلة القدر خير من الزمن كله مهما طال.. وهذه الخيرية لرسول الله ﷺ ولأمته.. فرسول الله ﷺ سمع أن رجلًا حمل السيف فى سبيل الله ألف سنة.. فاستقصر الرسول الكريم عمر أمته.. فكأن الله أراد أن يبشره.. فقال له: عندكم ليلة.. لو أحسنتم القيام فيها والعبادة لله لأغنتكم عن ألف شهر.. وألف شهر فى ماذا؟ فى حمل سيف فى سبيل الله.. ويكون المعنى فى ذلك أن الله – سبحانه وتعالى – عوض أمة محمد فى الزمن اليسير.. ما يتسع له ما أخذه غيرهم فى الزمن الطويل.

(١) القدر: ٣.



﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾

ولكن الله أراد أن يعطينا شيئًا آخر عن ليلة القدر.. هى أنها محل لتنزلات الملائكة برحمة الله فى الأرض.. تنزيلات رحمة الله فى الأرض هى بنواميس.. وبقوانين.. كل قانون كالأرزاق وكالرحمة.. وكالموت.. له ملائكة.. بدليل أن الله يقول عن الملائكة ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾ أى أنه خلق الملائكة الغيبيين.. لكى يباشروا مهمة غيبية محددة فى الحيـاة يقومون بها.

﴿ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾

وبعد ذلك قال: ﴿ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ معنى ذلك لا ينزل فيها إلا كل ما هو خير.. وكل ما هو سلام.. لأن تنزلات الله بالخير فى نواميسه جاءت خيرًا للناس فى كل ما يتصل بحياتهم.. هذا فيما يتعلق بماديات الحياة.. وفيما يتعلق بمعنوياتها.. فإن خير ما ينزل فى هذه الليلة هو القرآن الذى وضع آخر منهج لحركة حياة الإنسان على الأرض.. وما دام الأمر كذلك.. فإذا استقبلنا ما نزل فى هذه الليلة.. وجعلناه منهجًا.. فى هذه الحياة ملأ الكون السلام والرحمة والبركة.. فالسلام ليلة القدر هو سلام لكل الأزمنة.. لا يختل السلام أبدًا.. السلام نزل فى ليلة القدر.. لكن نحن الذين ننفذه أولا ننفذه.. فإن نفذناه يكون سلام ليلة القدر قد امتد لكل الأزمان.. وإذا أخذناه وعطلنا مهمته.. يكون السلام قد نزل فى ليلة القدر.. ونحن الذين امتنعنا عن أن ننتفع بذلك السلام. والمفروض أننا نمضى ليلة القدر فى عبودية صادقة لله.. فإذا أمضينا هذه الليلة ونحن نعبد الله حق عبادته.. كان معنى ذلك أننا كررنا الزمن الذى أنزل فيه ما نحب.. وهو القرآن.. المنهج الذى أوضح لنا صفاء العبودية للحق – سبحانه وتعالى – احتفالنا بليلة القدر هو فرحتنا بتلك الليلة.. بما نزل فيها ولا نفرح بما نزل فيها إلا إذا كانت آثار ما نزل فيها قد نضحت على نفوسنا صفاء.. وعلى سلوكنا تضرعًا.. وهنا يتجلى الله – سبحانه وتعالى – ما دام عبدى قد فرح بمنهجى فرحًا جعله يكرم ليلة البداية فى نزول هذا المنهج فليس له جزاء عندى إلا أن أغفر له.

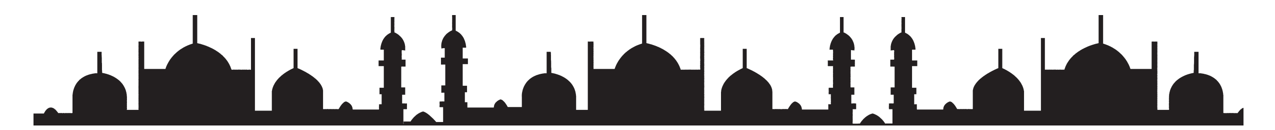
تحديد الليلة فى رمضان

بعد ذلك نأتى إلى تحديد الليلة.. اليتيمة فى شهر رمضان.. لأن الله سبحانه وتعالى - قال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ والقرآن نزل فى ليلة القدر.. وفى آية أخرى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ القرآن نزل فى رمضان.. وفى غير رمضان.. إذن لابد أن بداية الإنزال أو الإذن لمباشرة القرآن لمهمته فى الكون.. فى شهر رمضان.. ولكن ليلة القدر دائرة فى الزمن.. بمعنى أنها مرت فى كل يوم من أيام الزمن.. فالفرق بين العام القمرى والعام الشمسى أحد عشر يومًا.. وهذا الفرق مثلًا يجعل رمضان يأتى فى الشتاء.. وفى الصيف.. وفى الخريف.. وفى الربيع..أى أنه مقسم على أيام السنة كلها.. وعلى فصولها جميعًا.. فإذا حسبنا الاختلاف مع طول الزمن.. نجد أن ليلة القدر جاءت منذ بدء الخليقة حتى الآن مرة واحدة على الأقل فى كل يوم من أيام السنة.. ليلة القدر تدور فى الدنيا لتشمل كل يوم فيها.. لتشمل الزمن كله.

وقد قال رسول الله ﷺ: «**التمسوها فى العشر الأواخر**» أو فى «**وتر العشر الأواخر من رمضان**» قد يكون رمضان فيها ثلاثين يومًا.. وقد يكون تسعة وعشرين يومًا..وعندما يكون رمضان ٢٩ يومًا ويلتمسها فى العشر الأواخر..تكون بدأت فى العشرين.. وبذلك تكون (٢٠، ٢٢، ٢٤)، إلى آخره.. فإذا كان رمضان ثلاثين يومًا تكون البداية (٢١)، وبذلك تلتمسها أيام (٢١، ٢٣، ٢٥)، وهكذا.. هنا يبرز سؤال.. من يدرينا ونحن فى العشرين من رمضان إذا كان رمضان سيكون تسعة وعشرين يومًا أو ثلاثين يومًا؟.. من يدرينا بذلك؟ طبعًا نحن لا نعرف ذلك مقدمًا.. ومن هنا فإننا إذا كنا نلتمس العشر الأواخر من رمضان.. فيجب أن نلتمسها فى كل ليلة من العشر الأواخر ابتداء من ٢٠.. والرسول ﷺ خرج يومًا على أصحابه وقال: «كنت قد خرجت لأخبركم بليلة القدر.. إلا أنه تلاحى[1] فلان وفلان - أى تشاجرا فى المسجد - فرفعت عنى.. فالتمسوها فى العشر الأواخر».. فكأن الله يريد أن يخبرنا أن التشاجر هو ميدان الشيطان لمعارك الشر.. وأن ذلك يمنع الخير.

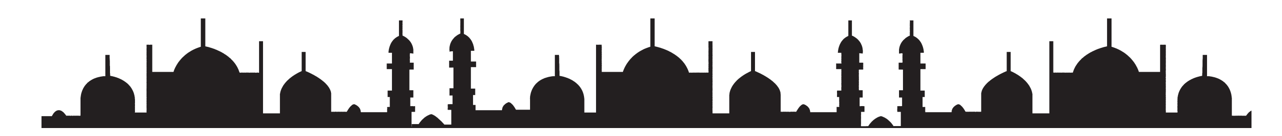
والصفاء نفسه يستدعى الصفاء.. فعندما يجد الله - سبح. .٥ انه وتعالى - جمعًا كله صفاء.. تتنزل فيه ملائكة الرحمة.. لماذا؟لأن الله - سبحانه وتعالى - يحب من خلقه الإخاء والصفاء.. فيقول الله - سبحانه وتعالى - فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ ولكن عندما يريد الله أن ينزل خيرًا عميمًا على الناس.. ثم يأتى فيجد أنهم ليسوا أهلًا لهذه الرحمة.. أو لهذا الخير.. أجهزة الاستقبال عندهم تالفة..

(١) تلاحى: تشاجر.



حينئذ يقبض عنهم الخير.. فإذا أردنا أن نكون أهلًا لعطاء الله.. فيجب أن نكون دائمًا على الصفاء.. لنستطيع أن نستقبل عطاء الله.. وبعد ذلك شاء الله رحمة منه ألا يحرمنا من الخير كله.. فأتعبنا قليلًا.. قال إنها فى العشر الأواخر من رمضان.. بدلًا من تحديد الليلة.. وفى ذلك حكمة من الله – سبحانه وتعالى – فى أنه يريد أن يقف الناس فى وجه الشر مهما كان هذا الشر حتى يمكنهم أن يستقبلوا عطاء الله ورحمته.. وفى هذه الحالة يكون التمسك بالخير هو دفاع الإنسان عن ذاتية نفسه مصداقًا لقوله – سبحانه وتعالى–: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً ﴾[1].

(١) الأنفال: ٢٥



ديمـومـة ذكــر الله

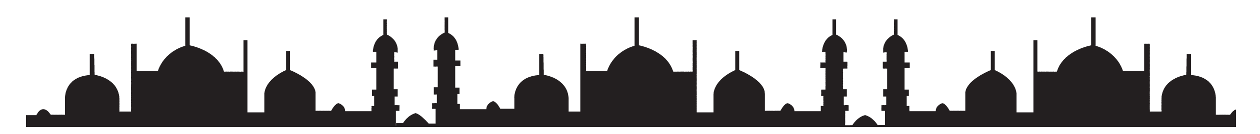
ويقول الله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾(١).

أى مشارق وأى مغارب؟

فى عهد رسول الله ﷺ وكان كل ما يعرفه الناس عن الشمس أنها تشرق من مكان.. وتغرب من مكان آخر.. فيقولون مثلًا الشمس تشرق من ناحية هذا الجبل.. وتغرب من ناحية هذه الشجرة.. ولكن الآن كل بلد له مشرق ومغرب.. فالشمس عندى تشرق من ناحية الجبل.. وبعد دقائق تشرق فى بلدة أخرى.. وبعد دقائق فى بلدة ثالثة.. وبعد دقائق فى بلدة رابعة.. وهى تغرب من هناك وبعد دقائق تغرب من بلدى.. وبعد دقائق تغرب من بلدة مجاورة.. أى أن لها مشارق ومغارب.. والصلاة مثلاً.. الصلاة مستمرة فى الأرض ليلًا ونهارًا.. توقيت الظهر مثلًا عندى.. وبعد دقائق فى بلدة أخرى.. وبعد دقائق فى بلدة ثالثة.. ونصف الأرض نائم.. والنصف الثانى يسبح الله.. بعض الناس يصلون الفجر.. وفى نفس اللحظة غيرهم يصلون الظهر وفى نفس اللحظة غيرهم يصلون العصر.. وفى نفس اللحظة غيرهم يصلون العشاء.. الصلاة هنا فى القاهرة مثلًا وبعد دقيقتين فى بنها.. وبعد دقيقتين أخريين فى دمنهور.. وبعد دقيقتين فى الإسكندرية.. وبعد دقيقتين أو ثلاث هى فى بلد آخر.. وهكذا.. بحيث لا ينقطع عن العالم أجمع ثانية واحدة ليس فيها ذكر الله.

وبالله التوفيق

(١) المعارج: ٤٠.



مناقشة الفصل الخامس

١ – فسر قوله– تعالى – : ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾.

٢ – ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾.

وضح ما يتعلق بماديات الحياة ومعنوياتها فى ليلة القدر.

٣– متى تكون ليلة القدر؟ ومتى يلتمسها المؤمن؟ وما معنى قول المؤلف «ولكن ليلة القدر دائرة فى الزمن»؟

٤ – أكمل العبارات الآتية:

(ا) لكى تعيش النفس آمنة يجب أن تتخلص من .... ، .... ، ....

(ب) كل فعل لابد له من .... ، .... ، ....

(جـ) نزل القرآن فى ليلة .... فى شهر ....

٥– ما السر فى اختيار الليل لنزول ليلة القدر؟

٦– قال – تعالى –: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾.

ما الدرس الذى نتعلمه من هذه الآية؟

فهرس الكتـاب

المواصفات الفنية:

المقاس	$\frac{١}{٨}$ (٥٧ × ٨٢ سم)
طبع المتن	١ لون
طبع الغلاف	٤ لون
ورق المتن	٧٠ جم أبيض
ورق الغلاف	١٨٠ جم كوشيه
عدد الصفحات بالغلاف	٦٨ صفحة
رقم الكتاب	**٢٠٢**

http: / /elearing.moe.gov.eg

